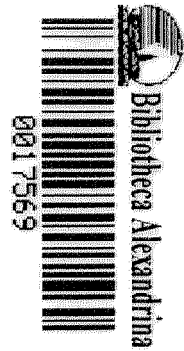


ج. د. سالنجر

# اليوم المرئى لسماك الموز



ترجمة  
بسام حجار



اليوم المرتهج ليتمك الموز

ج. د. سألنجر

# اليوم المرزقني لسَمك الموز

ترجمة  
بشار جتار



الكتاب: اليوم المرتجى لسمك الموز

التأليف: ج. د. سالنجر

الترجمة: بسام حجّار

الناشر: دار الفارابي - بيروت - لبنان  
ص.ب. ٣١٨١ / ١١ - ت: ٣٠١٤٦١ - فاكس: ٠٧٧٧٥

التنضيد: شركة المطبوعات اللبنانية ش.م.ل.

الطبعة: الأولى ١٩٩٧

جميع الحقوق محفوظة

# مقدمة

## سالنجر

### هذُرُ خاسرين أنقياء

ج . د . سالنجر من طينة الكتاب الذين حين تلتقي بهم مرّة واحدة، عمداً أو بمحض المصادفة ، كأن تقرأ له قصة واحدة أو صفحات من كتاب، لا يعودون الى مطارحهم ، على رفاً في مكتبة ، أو هوامش في دفتر ملاحظات أو عبارات وشخصيات تذكر منها أشياء كلما قرأت أو كتبت أو تحدّثت . سالنجر لا يترك لك مثل هذه الفرصة ، وإن حاولت لا تلبث أن تجد كتابه في متناول اليد ، على طاولتك أو قرب سريرك ، أو بين الأوراق التي تنقلها مرّة أو مرتين في الأسبوع ، ساهماً في سيارة الأجرة ، أو منتبهاً لسطور تعيد قراءتها مرّات ومرّات . سالنجر من طينة الكتاب الذين حين تكون قرأت لهم ، لا تعود كما كنت في السابق ، أقصد لا تعود تقرأ كما كنت تقرأ في السابق ، لأنه ، في أية حال ، من الأطفاف التي تترك أثراً مقلّماً . تقرأ له شيئاً وحين تأخذك متعة قراءته حتى النهاية تبحث عن أعماله ( القليلة ) الأخرى . تجدها ( منقولة الى الفرنسية ) بعد جهد ، وتعرف حين تواصل القراءة أنك وقعت في شرك سالنجر ، وأنك بعده ، لن تكون كما كنت في السابق ، أقصد بعد ، أن تكون تعرّفت على "هولدن كولفيلد " بطل " الحارس في حقل الشوفان " ، أو " سيمور " بطل

"اليوم المرتجى لسمك الموز" \* ، أو فرانكلين وجيني بطلي " مباشرة قبل الحرب مع الإسكيمو " ، أو غيرهم ... فهؤلاء ينبضون حياة كانت تحسب أنها الى الأبد خارج الرواية ، والى الأبد خارج الأدب . إذ لا تحسب ، أنت القارئ ، برشاقة أن يستدرج سالنجر كل هذا النبض الى الكتابة وبأن أدب المشاعر الجميلة كما أراد أندريه جيد ليس " القاصر " الذي تحدثت عنه النقد طويلاً . كأنك ، أنت القارئ ، إذن على أرض غير ثابتة ، تكون مطمئناً ويأتي سالنجر ذات يوم ويقول لك هذه رواية ، أو هذه قصة ، وإنها بالاقصاف الكبير لرسم الإطار والتمن ، تسترسل بالهذر الذي يتداوله أشخاص غالباً ما يجدون صعوبة في الإهتمام الى " العبارة " المناسبة ، لذلك يداورون ويناورون في الكلام ، حتى لا يكاد الكلام ينتهي ، ولا يقولون في النهاية إلا القليل ، والقارئ يحسب بما لا يقال لأنه في هوامش الانقطاع والتأناة والارتباك ولا يقرأ في المتن . ولمن لم يقرأ سالنجر بعد ، نقول معتذرين إننا لن نستطيع أن نلخص بكلمات قليلة أو كثيرة رواية له أو قصة ، لأنه ببساطة مستحيل . فما نقوله القصة أو الرواية ليس ما يرد في متنها ( وهو كثير ) بل هو في الجوهر ما هو " مكتوم " في متنها . فما يحدث في قصص سالنجر لا يخضع لمنطق ما تعيه الشخصيات عبر الكلام

---

(\*) " تسع قصص " ( ١٩٥٣ للطبعة الأميركية ) ، صدرت بالفرنسية بعنوان : " اليوم المرتجى لسمك الموز " في ترجمة لجان - باتيست روسي عن منشورات لافون ١٩٦١ . أما رواية " The Catcher in the Rye " ( ١٩٥٢ للطبعة الأميركية ) . فقد صدرت في منشورات لافون عام ١٩٥٣ في ترجمة لجان - باتيست روسي أيضاً ، وكان الروائي الراحل غالب هلسا ترجمها الى العربية ( طبعة من دون تاريخ ) بعنوان : " الحارس في حقل الشوفان " .

الذي نقوله ، ولا لتدخل الكاتب ، ولو مرة واحدة ، شارحاً أو مفسراً أو معلماً أو محلاً ، بل يحدث أن تسترسل الشخصيات بحوار متواصل لا ينقطع تشعبه واستدراكه وسوء الفهم المتبادل والمتكرر بين المتخاطبين ، دون أن يصل الحوار بهم الى أي معنى أو مكان ، ولكن القارئ ، في المقابل ، يهتدي الى الخيط الذي يشبك نسيج العلاقات النفسية المعقدة والتي لا تهتدي إليها الشخصيات بالضرورة، فما يجعل من سالنجر " ساحراً " للنوع يكمن ، بالضبط ، في قدرته على تتبع الأشياء التي لم تجد شكلاً لها بعد ، لا عبر ما يصرّح به النص ، بل عبر ما يكتمه من غير قصد .

أشخاص سالنجر حاضرون دائماً ، حتى الأموات منهم ، عبر اللغة التي تطول إليها شبهة في كتابته . فاللغة التي تستخدم للتواصل ، والاتصال ، لا تبدو كذلك حين يستخدمها سالنجر . وكما أسلفنا القول ، شخصيات سالنجر كثيرة الكلام ، ثرثرة ، وحين تتكلم ، يقول جان - لوي كورتيس ، لا تفعل ذلك كما في المسرح أو في روايات " التحليل " على الطريقة الفرنسية ، حيث تختار الشخصيات العبارة الصحيحة التي لا يخونها المعنى أو كمال التعبير ، بل على العكس ، غالباً ما يكون بطل سالنجر عاجزاً عن العبارة الصحيحة ويحسب دائماً أن ما يقوله لا يفي بما يشعر به فعلاً ، لذلك يكرّر كلامه ويغمغم ويسعى جاهداً ( والقارئ يتابعه ) لإيجاد الكلام المناسب لكنه غالباً يفوق في مسعاه . لذلك لا يكاد يخلو موقف من المواقف أو حوار من الحوارات من غرابة ما أو من مسحة سذاجة توصلها اللغة المحكية التي يستخدمها سالنجر الى ذروتها؛ فالحسّ المذهل الذي يتمتع به سالنجر حسّ التقاط المسموع ، والإيقاع والوتيرة

والنبرة ، إضافة الى خصوصيات اختلاف اللغة المحكية ، محطات الكلام التي تتردد ، والعادات واستخدام اللفظ أحياناً في غير محله .

لا يبالي سالنجر كثيراً " بمَوْضَعَة " الأشخاص ، أو كما يقال في المتعارف عليه ، برسم الإطار . فالديكورات والأمكنة مقتضبة ، وسالنجر لا يلتفت كثيراً الى ترتيب أجزائها أو وصفها . إذ تمثل الشخصيات منذ البداية ، تكون هنا وتبدأ بالكلام ، ومع تشعب الحوار تكتسب الشخصيات حضوراً وخصائص وصفات ، لأنّ سالنجر لا يروي سوى " الآتي " والراهن ، وإذا ما عمد الى صيغة الماضي ( في طبيعة الأفعال ) فإنّ الأحداث تجري في الحاضر . فزمن السرد لا يني يتطابق مع زمن الحدث حتى لو كانت صيغته تتلبس زمن الماضي . ورأى بعض النقاد في أسلوبية سالنجر استكمالاً لجماليات الرواية الأميركية التي تتبنى ، منذ همنغواي ، والى حد بعيد معايير " السلوكية " ( Behaviorisme ) ومنطقها حيث يسعى الكاتب لأن يغيب تماماً خلف المتن الذي يكتبه . إلا أنّ معايير " الموضوعية " هذه ليست عند سالنجر إلا على المستوى الشكلي . وما ينطبق ، بهذا المعنى ، على " تيار " الرواية الجديدة ، في فرنسا ، من حيث " موضوعية العين الرئائية وحيادها " ( بوتور ، روب - غرييه ) لا ينطبق على كتابة سالنجر التي في حيادها " السلوكي " على مستوى الشكل لا تغفل أيّاً من مكونات الذات الانفعالية والعاطفية .

ولكن ، في غمرة كل هذا التناول الاسلوبي لسالنجر قد يخطر للقارئ أن يبدي فضولاً ما للسؤال عن سالنجر الإنسان . فمن هو هذا الغائب عن الأضواء ، حتى قبل أن يتوقف عن الكتابة . هنا أيضاً تغرق حياة الكاتب في التفاصيل غير المؤكدة ، وغير الصّحيحة أحياناً . كل ما



يُعرف عنه أنه ولد في نيويورك عام ١٩١٩ ( أي أنه في الثامنة والسبعين اليوم ) وأنه تابع دراسته الأولى في إحدى الأكاديميات العسكرية ثم تردّد الى ثلاث مدارس مختلفة في صباه وأنه خدم في الجيش بين عام ١٩٤٢ وعام ١٩٤٦ ، وأنه بدأ ينشر قصصه القصيرة في " النيويورك ركر " والـ "هاربرماغازين" ، وأن روايته " الحارس في حقل الشوفان " صدرت عام ١٩٤٨ واختيرت كتاب الشهر في " البوك أوف ذو مانت كلوب " (نادي كتاب الشهر ) ، وأنها سرعان ما أصبحت الرواية الأكثر مبيعاً إلى جانب "هوكليبري فين" .

ما يكتب عنه سالنجر يدور ، مهما تنوع ، حول الطفولة والمراهقة ، وليس اختياره هذا لأنه استطاع أن يجعل الأطفال والمراهقين يتكلمون بلغتهم ، بل ربّما لأنه يرى في هاتين المرحلتين التعبير الصارخ عن حالة من النُعمى هي أقرب الى المفهوم الديني .

فالانتقال من المراهقة الى سنّ البلوغ يترافق فيما يراه سالنجر مع حالة من الخسارة والفقْدان للقيمة الأخلاقية التي لا تمثلها لا البراءة ولا الرقّة ولا السذاجة ، بل " الدقّة " التي سيوصي بها ناثانيل على لسان بول فاليري . وقد يكون محض استسهال القول بـ " فراديس الطفولة الضائعة " عند سالنجر ، لأنها وإن كان مقلب هذه الفراديس ، ليس الجحيم ، بل مطهره القريب ، لا تمثّل سوى الحيّز " الروحاني " الذي يطرد منه المرء على عتبة سنّ البلوغ . فالبالغ لا يفقد فقط مفاتيح هذا الحيّز ، بل يفقد أيضاً " اللغة " التي تعينه على الدقّة وعدم الامتثال لما هو " واقع " وناجز .

الأشدّ قسوة في ما كتبه سالنجر هو العالم الذي يخلو من أطفال ومراهقين كما في قصّة : " جميلٌ فمي عيناى خضراوان " . أمّا القسوة التي

يواجه بها العالم " كائنات " سالنجر فتبدو أقرب الى " اختبار " حالة النقاء التي تتمتع بها . فالأحداث ، غير الممتمكين ، يجتازون اختبار القسوة لأنهم يرفضون ، حتى النهاية ، الاتخراط في مثال العيش الآتي ومعياره . هولدن كولفيلد أو فرانكلين أو قائد ثلثة الكشافة أو غيرهم يجدون دائماً الهوامش الضيقة التي تتسع لهم خارج عالم " الآخرين " الرابع . عالم الحرب التي وقعت والحرب التي قد تقع ، عالم المدرسة والمصنع والمرضى والإعاقة ، عالم الفقر . أما " ألفرد " الذي لايسهل عليه هذا الانتقال دون " جروح رمزية " بالغة ، فهو الذي يبقى ، كسيمور ، في حالة مزدوجة : الرجل - الطفل الذي يرفض الامتثال فلا يخرط في الدائرة ، فيصبح موضوع سوء فهم متواصل أي ، ما تسميه الصنافة الحديثة ، يصبح في عداد غير الأسوياء والمرضى . لذلك ينتحر " سيمور " ( في إحدى قصص مجموعة سالنجر وهي بعنوان : " اليوم المرتجى لسماك الموز " ) .

جانبا المرارة في كتابة سالنجر ( أليست وجهاً من سخريته اللاذعة ؟ ) يضاهي جوانب أخرى لا تملك أن تدع القارئ ، بعد القراءة ، كما كان في السابق . والذكاء الكبير قد يكون سمة أخرى ، ولكنها الى جانب الرقة والضحك ورعشة الرعب والإشفاق ، تصنع " الحنان " الغامر الذي في كتابة سالنجر .

كان نورمان مايلر ، الروائي الأميركي ، يصف سالنجر بأنه "الروح العظيمة التي ظلت على مستوى المدرسة الثانوية ... وأجد صعوبة أن أتخيل سالنجر يخوض معركة الرواية الراشدة الحقيقية " . لم ير كاتب "أنشودة الجلاد " و " العراة والموتى " سوى حرفة السطور في " الحارس في حقل الشوفان " ، ولم يسمع في الحوار المتواصل لأحداث الخمسينات

سوى رتابة " غير راشدة " . ولكن سالنجر في مكان آخر ، من مكان آخر ،  
نكاد نقول . وقد لا يعجب القارئ أن يرى في بعض نورمان مايلر شيئاً من  
الروائي " غير الراشد " الذي ، منذ ٢٥ سنة ، مال الى صمت أراد أن  
يكون نهائياً ، فتوقّف " الهذر " الذي بات قارئ الرواية يبحث عنه الآن  
بشيء ، بل بكثير من الحنين .

**المترجم**

" نعرف الصّوت الذي تحدّثه يدان تصفّان  
ولكن ما هو الصّوت الذي تحدّثه يدٌ  
واحدة تصفّق؟"

أ. زن كوان .

جمیل فمی عینای خضراوان



عندما رنّ جرس الهاتف ، سألت الرجل ذو الشعر الرمادي ،  
بشيء من الجفاء ، المرأة الشابة عما إذا كانت تمنع في أن يردّ على  
الهاتف. سمعته المرأة الشابة وكأنه يُخاطبها من بعيد . وأدارت وجهها  
نحوه ، كانت إحدى عينيها مغمضة - تلك التي كانت من جهة الضوء -  
والأخرى جاحظة ، بغير دهشة ، عميقة الزرقة حتى أنها لتبدو بلون  
بنفسجي . قال لها الرجل ذو الشعر الرمادي أن تُسرّع قليلاً . فنهضت  
متكئة على مرفقها الأيمن وبما يكفي من العجلة فلا يبدو أنها برّمة بما  
تفعل . رفعت شعرها عن جبينها باليد اليسرى وقالت إنها ، بحق السماء ،  
لا تدري ماذا تقول .

- ما رأيك أنت ؟

قال الرجل ذو الشعر الرمادي إنه ، تيّاً ، في كلتا الحالتين لن يكون  
الفارق مهماً ، ودسّ بيده اليسرى تحت ذراع المرأة الشابة ، فوق المرفق  
الذي كانت تتكى عليه . ثم صعدت أصابعه باحثةً عن ملمس دافئ تحت  
الإبط . تناول سماعة الهاتف باليد اليمنى . وكى تصل إليه يده أنهض  
جذعه قليلاً فلامس رأسه كمة المصباح . لهيئة شعشع نور المصباح -  
وبشيء من الخيلاء - شعره الرمادي الذي يكاد يكون أبيض . وبرغم شعته  
الخفيف في تلك اللحظة فإنه يبدو بوضوح أنه مرّ بصالون المزيّن منذ وقت  
غير بعيد . كان المزيّن جعله قصيراً جداً عند الرقبة والصدغين وأطول  
عند الهامة والجانبين : قصّة كلاسيكية أضيفت إليها اللمساة الخاصة  
"بالرجال المميّزين" .

- ألو ؟ قال بصوت رخيم .

كانت المرأة التي لا تزال متكنة على مرفقها تنظرُ إليه . وعيناها  
المحملتان لا تشوبهما شبهة قلق أو شرود ، إذ كانتا لا تعكسان سوى  
لونهما .

سُمع صوت الرَّجُل عبر السَّماعة ، صوت بارد ومحايِد ، نبرته  
سوقيَّة وقد تكون فاضحة ، صوت وكأنه مستعارٌ للمزاح :

- هذا أنت يا لي ؟ هل أيقظتك ؟

تبادل الرَّجُلُ ذو الشَّعر الرمادي والمرأة الشابة نظرات عاجلة .

- مَنْ المتكلم ؟ قال ، هل هذا أنت يا آرثر ؟

- أجل ... هل أيقظتك ؟

- لا ، لا كنتُ مستقيماً ، كنتُ أقرأ ، هل ثمة خطب ؟

- هل أنت متأكد بأنني لم أوقفك ؟ كلام شرف ؟

- لا ، لا ، أبداً ، قال الرجل ذو الشَّعر الرمادي . أكون صريحاً

معك لا أستطيع أن أنام أكثر من أربع ساعات في ...

- أتصل بك لأسألك إذا كنت انتبهت في أيّ ساعة غادرت

جواني؟ أو لاحظت أنها ربّما غادرت في رفقة آل إلبوغن . هلاً قلت لي ؟

التفت الرَّجُلُ ذو الشَّعر الرمادي مرّة أخرى جانباً غير أن نظرتَه

هذه المرّة كانت أعلى ، أعلى بكثير من وجه المرأة الشابة التي كانت تحدّق

فيه بزرقة عيني شرطي إيرلندي يافع .

- لا ، لم أنتبه ، يا آرثر .

كانت عيناها تحدّقان في أعالي الغرفة المعتمة عند ملتقى الجدار

بالسقف :

- إذن هي لم تغادر معك ؟ أردف قائلاً .



- لا ، بحق السماء ، لا . ألم تلمحها وهي تغادر إذن ؟  
- الحقيقة ، لا ، أقول لك صراحةً إنني لم أنتبه يا آرثر ، قال  
الرجل ذو الشعر الرمادي . وبصراحة أكبر أقول لك إنني في الواقع لم  
أنتبه لشيء طوال الأمسية . فما أن دخلت من الباب حتى انخرطت في  
نقاش ممل لا ينتهي مع هذا الفرنسي الغريب ، أو النمساوي أو ما لست  
أدري ما هو ، فما من دخيل ، من طراز هؤلاء ، إلا ويكون مترتباً  
بأصغر الاجتماعات الحقوقية ، شريطة أن يكون مجانياً . ولكن لماذا تسأل؟  
ما الذي حدث ؟ هل اختفت جواني ؟

- أوه ، يا إلهي ، ومن أين لي أن أعرف ؟ لا أعرف شيئاً . أنت  
تعرفها جيداً حين تركب رأسها . لا أعرف . ربما لم تفعل سوى أنها ...  
- هل اتصلت بآل أنبوغن ؟ سأل الرجل ذو الشعر الرمادي .  
- أجل . لم يعودوا الى المنزل بعد . ما عدت أفهم شيئاً . والله ،  
لست متأكداً حتى أنها انسحبت من الأمسية في رفقتهم . ولا أعرف سوى  
أمر وحيد . تباً ، أعرف هذا الأمر جيداً ، إنني ضجرتُ من وجع الرأس  
هذا . ولستُ مازحاً . هذه المرة لا أمزح : لقد ضجرت . خمس سنوات ،  
يا إلهي !

- هيّا ، حاول أن تواجه هذا الأمر بشيء من الهدوء يا آرثر ،  
قال الرجل ذو الشعر الرمادي . أولاً أنا أعرف جيداً آل أنبوغن ، وهناك  
ألف احتمال أن يكونوا قد استقلوا سيارة أجرة وتوقفوا للحظات في البلدة .  
وعلى الأرجح سيصلون بين لحظة وأخرى ...

- ينتابني إحساسٌ بأنها قد ذهبت لتعتني بوغدٍ في المطبخ . لدي  
إحساس قويٌ بذلك . عندما تكون مهتاجة تتط على أولٍ وغد يدخل الى

المطبخ . لقد ضاق صدري . والله ، أقسم لك ، أنا لا أمزح . خمس  
شرا... .

– أين أنت الآن يا أرثر ؟ سأل الرجل ذو الشعر الرمادي . في

البيت ؟

– أجل ، في البيت . في البيت الزوجي الحنون . يا الله !

– إسمع ، لا ينبغي أن تتصرف مثل ... ما الأمر ؟ هل أنت ثملٌ

أو ماذا ؟

– لست أدري . لتبتلعني جهنم لو كنت أدري !

– حسناً . والآن إسمع : إلزم الهدوء ! قال الرجل ذو الشعر

الرمادي . أنت تعرف آل أنبوغن جيداً ، بحق السماء ! كل ما في الأمر

أنه قد يكون فاتهم موعد آخر قطار . وسيصلون ، ثلاثتهم ، بعد دقيقة ،

جذلين مثل عصافير البرقش ، بعد استراحةٍ في ...

– كانوا في سيارتهم .

– وكيف عرفت ذلك ؟

– من فم الفتاة حاضنة الأولاد ، لقد خضنا أحاديث هادئة ولكنها ،

في الداخل ، تزد وتزعد . وكانت رفقتنا رفقة خنازير . نحن حبّتا ثوم

لعينتان في قرن واحد .

– حسناً ، حسناً . وفي النهاية ؟ قال الرجل ذو الشعر الرمادي .

ألا تستطيع أن تهدأ قليلاً الآن ، وأن تحافظ على هدوئك ؟ سوف يصلون

حتى قبل أن تنتبه . بق بي . أنت تعرف ليونا . أليس كذلك ؟ الشيطان

وحده يعرف لماذا يعودون دائماً من نيويورك والمزاح على طريقة

كونكتيكت ملء حقائبهما . أنت تعلم ، أليس كذلك ؟

- بلى . أعلم ، أعلم ... في النهاية ما عدت أعلم شيئاً .  
- بلى ، أنت تعلم ، فكّر قليلاً . لا بدّ أنهما غصبا جواني على  
الركوب معهما قبل أن ...  
- إسمع لا أحد يستطيع أن يغضب جواني على شيء ! فلا تحش  
قصبتي بترهات الغضب هذه !  
- لا أحد يحشو قصبتك يا أرثر ، قال الرّجل ذو الشّعر الرّماديّ  
بهدوء .

- أعلم ، أعلم ! أعذرنى ، يا إلهي بتّ فاقد السيطرة على  
أعصابي ، كلام شرف ، أتقسم لي أنني لم أوقظك من النوم ؟  
- لو أنّك فعلت لكنك صارتك بالأمر يا أرثر . قال الرّجل ذو  
الشّعر الرّماديّ .

وسحب يده اليسرى من تحت إبط المرأة الشّابة .  
- إسمع يا أرثر ، هل تقبل نصيحة ؟  
أمسك بين أصابعه شريط الهاتف تحت السّماعه مباشرةً .  
- بجد . هل تقبل نصيحة ؟  
- أجل . ما عدت أعلم . بحقّ السماء ، أنا الآن أمنعك من النوم .  
أسأل نفسي لماذا ببساطة لا أقطع ...  
- إسمعني للحظة ، قال الرّجل ذو الشّعر الرّماديّ . بجد .  
ستذهب الآن طائعاً الى سريرك وتتمالك نفسك . أسكب لك كأساً أخيرة  
واندس تحت الأ ...

– كأس أخرى ! أتمازحني أم ماذا ؟ ولكن بحق السماء اللعينة لقد  
أفرغت ليترأ كاملاً في الساعتين هاتين ! كأس أخرى ! أشعرُ بتصلب  
أعضائي حتى لأعجز عن ...

– حسناً ، حسناً . إذن إذهب ونم ، قال الرجل ذو الشعر  
الرماديّ. وحافظ على هدوئك ، هل تسمعي ؟ في النهاية يجب أن تعترف  
أنّ لا جدوى من لفك ودورانك وأنت في حالة قلق مماثلة ؟

– أجل ، أعلم . ماذا يُجدي كل هذا ، يا إلهي . ولكن لا يمكن  
الوثوق بها . لا يمكن ! أقسم لك ! ما عدت أستطيع الوثوق بها حين لا  
تكون في متناول ... لا أعرفُ ماذا . أووه ، ثمّ ما الفائدة ! إنّي أقد  
السيطرة كلياً على أعصابي .

– إسمع ، أس كل هذا الآن ، لا تفكّر فيه . قال الرجل ذو الشعر  
الرماديّ . وكّرّم لي حاول أن تطرد كل هذا من رأسك . أنت تعرف  
جيداً أنّك الآن تسبب لنفسك بـ ... أعتقد بجدّ أنّك تحملّ نفسك جبلاً ...

– ما أفعله ؟ أنت تعلم ماذا أفعل ؟ أشفق على نفسي من أن أقول  
لك ، هل تعلم أيّة رغبة لعينة تتملكني حين أعود الى المنزل كل مساء ،  
عندما أعود ؟ هل تود أن تعلم ؟

– إسمع يا آرثر ، هذه ليست ...

– إسمعني للحظة ! سأقول لك ، سحقاً لسماي ! أكاد لا أتمالك  
نفسي . أكاد لا أتمالك نفسي من البحث في الخزائن اللعينة . أقسم لك ! كل  
مساء حين أعود الى المنزل ينتابني شعور بأنني سأجد شلّة من الأوغاد  
مختبئين في الخزائن . في كل مكان . صبيان خدمة المصاعد ، صبيان  
الدكاكين ورجال شرطة ...

- حسناً ، حسناً ، حاول أن تهدئ نفسك قليلاً يا آرثر ، قال الرَّجُل  
ذو الشَّعر الرَّماديّ .

ألقى نظرة عاجلة الى يمينه ، نحو سيكارة ، كان أشعلها خلال  
الأمسية ، موضوعة بتوازن على حافة منفضة ، ولكنها بدت مطفاة فلم  
يتناولها .

- إسمع ، قال في السماعه ، لا أعلم كم مرة قلت لك في الماضي  
يا آرثر ، وهذا بالضبط خطأك الكبير . أتعلم ماذا تفعل ؟ أتريدني أن أقول  
لك ماذا تفعل ؟ أنت تبحث عن العصي لتضعها في عجلاتك - بجد - أنت  
تبحث عن أي شيء ليعذبك . والحقيقة أنك أنت نفسك توفر لجواني الأفكار  
المبتكرة لتفعل بك هذا .

ثم بدّل من نبرته .

- لا زلت محظوظاً لأنها ليست سوى فتاة صغيرة طيبة ، أؤكد  
لك . أنت لا تثق بها ابداً ، مهما فعلت ، لا برقتها ولا بفهمها ، بحق  
السماء ، ما دمنا نتكلم على هذا ...

- الفهم ! أنت تمزح أم ماذا ؟ لم تمتلك في حياتها مقدار غرامين  
كاملين من الفهم ! إنها بهيمة !

بدا الرَّجُل ذو الشَّعر الرَّماديّ منتفخ المنخرين كما لو أنه يتنفس  
بعمق .

- نحن ، جميعنا ، بهائم ، قال . في أعماقنا نحن جميعنا بهائم .  
- يا للهزل ! أنا ليس بي شيء من بهيمة لعينة ! قد أكون الأكبر  
بين حمقى وأوغاد وأولاد غواني القرن العشرين ، ولكن ليس بي شيء من  
البهيمة ، ولا داعي لأن تبخ ، ليس بي أيّة صفة حيوانيّة .

- إسمع يا آرثر ، كل هذا لا يفضي بنا الى ...  
- الفهم ! رائع والله ، أنت لا تدرك كم يضحكني . إنها تحسب نفسها مثقفة لعينة ! وليس هذا وحده المضحك ، هناك المزيد . إنها تقرأ في الجريدة صفحة العروض المسرحية والسينمائية ، وتشاهد التلفزيون حتى تتورم عيناها ، وهكذا تحسب أنها أصبحت مثقفة ! أتود أن تعرف من تزوجت ؟ لقد تزوجت الفتاة الأكثر تخلفاً على قيد الحياة من بين الممثلات - المحلات النفسانيات - الروائيات - اللواتي - ينتظرن - فرصة اكتشافهن ! تزوجت إحدى أكثر العبقريات انغماراً في كل أرجاء نيويورك ! وهذا هل كنت تعرفه ، هه ؟ والله إن ما أعانيه يجعلني لا أرغب في العيش ولو ليوم إضافي واحد ! إنها مدام بوفاري تتابع دروس المساء في جامعة كولومبيا ! مدام ...

- من ؟ سأل الرجل ذو الشعر الرمادي بصوت ملول .  
- مدام بوفاري تتلقى دروساً في النقد التلفزيوني . والله ، أنت لا تستطيع أن تدرك كم ...

- حسناً ، حسناً . أنت ترى جيداً أن كل هذا لن يصل بنا الى نتيجة ، قال الرجل ذو الشعر الرمادي .

- استدار ووضع إصبعين على فمه مشيراً الى المرأة الشاببة بأن تتناوله سيكارة .

- ثم ، قال في السماعة ، برغم تمتعك بذكاء حاد إلا أنك تفقد منطق الأمور .

إستقام قليلاً في وقفته ليتسنى للمرأة أن تتناول علبه السكاثر من خلفه .

- بجد . هذا واضح في حياتك ، وهذا واضح في ...  
- الفهم ! أي والله ، هذا يقتلني ! يا ربي الكلي القدرة ! ألم  
تسمعها وهي تتحدث عن شخص ما - أقصد عن رجل ما ؟ ذات يوم إن لم  
يكن لديك ما تفعله حاول ، كَرَمِي لي ، أن تستدرجها الى الكلام على  
شخص ما ، فهي تقول عن كل الرجال الذين تصادفهم : هذا الرجل " شديد  
الإغراء " . ولا يعنيها أن يكون الرجل هو الأعجز أو الأسمن أو الأوسخ...  
- حسناً يا أرثر ، كل هذا لا يؤدي الى شيء . الى أي شيء على  
الإطلاق . قال الرجل ذو الشعر الرمادي .

تناول إحدى السيكرتين المشتعلتين من المرأة . كانت أشعلت  
سيكارتين .

- في المناسبة ، قال وهو ينفث سحابة دخان من أنفه ، كيف  
جرت الأمور اليوم ؟  
- ماذا ؟

- كيف تدبّرت الأمور اليوم ؟ ردّد الرجل ذو الشعر الرمادي .  
كيف جرت الأمور في القضية ؟

- أوه ، يا إلهي ! ما عدت أعرف . سيئة . قبل أقلّ من دقيقتين  
من مرافعتي ، ماذا يفعل المحامي الخصم ، ليسبرغ ؟ يستدعي خادمة  
مجنونة فتدخل وهي تحمل كدسة ملاءات على أنها أدلة . كانت مليئة ببقع  
الصدأ .

- إذن ! خسرت القضية ؟ سأل الرجل ذو الشعر الرمادي وهو  
يسحب نفساً من سيكارتته .

- أوتدري من كان على المنصة؟ ماذر فيتوريو ، وبحق الشيطان  
لا أعرف لماذا هذا الرجل يناصبني العداء! فلا أكاد أتفوه بكلمة حتى  
يتصدى لي . يستحيل أن تناقش رجلاً مثله ، مستحيل .

استدار الرجل ذو الشعر الرمادي ليرى ماذا تفعل المرأة الشاببة .  
كانت قد أحضرت منفضة ووضعنها بينهما .

- إذن ، خسرت أم ماذا؟ قال في السماعه .

- ماذا؟

- أسألك هل خسرت القضية؟

- أجل . كنت أحاول أن أخبرك . لم يكن لدي أي أمل للربح ،  
في وسط كل هذا الإرباك . هل تظن جونيور سيغضب؟ لأن الأمر يقلقني،  
تّباً ، ولكن ماذا تقول؟ هل تظنه سيغضب؟ بحركة من يده اليسرى نفض  
الرجل رماد سيكارتته على حافة المنفضة .

- لا ، ليس بالضرورة أن يستشيط غيظاً ويناطح السقف . ولكن  
هناك احتمال ضئيل أن يغضب ويقبض على عنقك . هل تعلم منذ متى  
نتولّى قضايا فنادقه الثلاثة القدرة؟ أيام شانلي العجوز نفسه فهو الذي بدأ  
معه ...

- أعلم ، أعلم ، لا يحسب جونيور أنه روى حكاية إلا إذا رواها  
خمسین مرة . إنها أجمل حكاية سمعتها في حياتي . صحيح أنني خسرت  
هذه القضية ، وماذا بعد؟ أولاً ، ليست غلطي . أولاً ، هو لا يمتلكني .  
وفيتوريو لم يكف لحظة طوال الجلسات عن انتقادي . وكانت الخاتمة  
السعيدة حين جاءت هذه الخاتمة الدابة ، وراحت تبسط الملاءات الملطخة  
بالصدأ .



– لا أحد يقول إنها غلطتك يا آرثر ، قال الرجل ذو الشعر الرمادي . سألتني عن جونيور هل يغضب فقلت لك ببساطة ...  
– أعلم ، أعلم جيداً . ما عدت أعلم شيئاً . ليأخذني الشيطان ، في استطاعتي أن أعود إلى الجيش ، هل حدثك بهذا الأمر ؟

استدار الرجل ذو الشعر الرمادي من جديد نحو المرأة الشابة لتشهد على سعة صدره ، بل على بطولته . ولكن المرأة لم تر إيماءه كانت صدمت المنفضة بركبتها وأوقعتها على الأرض وتحاول أن تجمع الرماد المتناثر بأصابعها . ثم رفعت عينيها نحوه لهنيهة ولكن بعد فوات الأوان .  
– لا يا آرثر لم تحدثني بالأمر ، قال في السماعه .

– آه ، ممكن . لم أقرر بعد . فقط تراودني الفكرة وليس أكثر ، ولن أقدم على خطوة من هذا النوع إلا إذا اتضح لي أنها ضرورية .  
والأمر جائز . لست أدري . على الأقل قد يحو هذا كل شيء . حين أستعيد خوذتي ومكتبتي الضخم وناموسيتي الكبيرة ، في الحقيقة لا يبدو لي...

– أود لو أغرس في رأسك ذرة من المنطق يا صغيري ، قال الرجل ذو الشعر الرمادي ، لأحسست عندها بالغبطة ، صدقني . لفتي ذكي ، أو حتى لفتي مزعوم الذكاء ، كلامك لا يمكن أن يصدر إلا عن صبي في الثانية عشرة . وأقول لك هذا بصدق . أنت تكسب التفاصيل الصغيرة حجم الهملايا فيما أنت عاجز عن ...

– كان ينبغي أن أهرجا . أو تدري ؟ كدت أنفصل عنها هذا الصيف حين كانت ظروفي مؤاتية ... وهل تعلم لماذا أحجمت ؟ تود أن تعرف السبب ؟

- أرثر ، كل هذا لن يصل بنا الى نتيجة .

- إنتظر ، لحظة واحدة لأخبرك عن السبب ، تود أن تعرف لماذا أحجمت عن الانفصال عنها ؟ بإمكانني أن أعطيك جواباً دقيقاً : ذلك أنني أشفتُ عليها إنها الحقيقة المجردة لقد أشفتُ عليها .

- حسناً ، لا أعلم ، أعجز قليلاً عن فهم هذا ، قال الرجل ذو الشعر الرمادي . ولكن يبدو لي أن الأمر الوحيد الذي تريد أن تتساه هو أن جواني امرأة بالغة وذات تجارب . لا أعلم ولكن يبدو لي ...

- بالغة وذات تجارب ! أنت معتوه أم ماذا ؟ إنها طفلة وذات تجارب ، هذا أجل ! إسمع يكفي أن أحلق ذقني - إسمع وسترى بنفسك - أكون منهمكاً في حلقة ذقني وفجأة أسمعها تتاديني من مكان ما داخل الشقة ، فأهرع لأتبين ما الذي يجري - في غمرة انهماكي والرغوة تغطي وجهي ! - وهل تعلم ماذا تريد؟ تريد أن تسألني هل أعتقد أنها ذكيّة . أقسم لك ! إنها تثير الشفقة ، أوكد لك ا أنا أتأملها وهي نائمة واثقاً مما أقوله لك ، صدقني .

- حسناً ، أنت في موقع يجعلك ... في النهاية ، الأمر لا يعنيني ، قال الرجل ذو الشعر الرمادي . والمشكلة ، بحق السماء ، تكمن في أنك لا تقوم بأي مبادرة بناءة لكي ...

- غياب الانسجام ، تلك المشكلة . تلك هي المأساة . الانسجام فيما بيننا مفقودة بصورة لا تصدق . هل تعلم ما الذي يلائمها ؟ إنها محتاجة لوعدٍ كبير لا يفتح فمه ، فقط يدخل عليها من حين لآخر فيضاجعها ثم يعود ليوصل قراءة جريدته ، هذا ما تحتاجه . أما أنا فخرع جداً معها . أدركت ذلك لحظة زواجنا ، أقسم لك ، أقصد ، أنت من جهتك داهية كبير ،

لم تتزوج من قبل ، وثمة لحظات ، حين يتزوج المرء ، يرى خلالها التماعات كشف عما سيحدث بعد الزواج . ولم أرد أن أواجه هذه الالتماعات الرهيبة . أنا خرغ . وهنا لبّ المأساة .

- لست خرعاً ولكنك لا تعرف كيف تستعمل دماغك ، هذا كل ما

في الأمر ، قال الرّجل ذو الشعر الرماديّ .

وتناول السيارة الجديدة التي أشعلتها له المرأة الشّابة .

- وكيف لا أكون خرعاً ! كيف ! وحق السماء أنا أعرف جيداً

هل كنت خرعاً أو لا ! لو لم أكن خرعاً ألا تعتقد بأنّي كنت أدع الأمور على ما هي عليه كما ... أوه ، ثمّ ما الفائدة ؟ أنا خرع بالتأكيد ! ولكن ، يا إلهي ، ماذا فعلت بك ، إنّي أجعلك تقضي ليلة بيضاء ! لماذا لا تقفل الخط في وجهي ، صدّقني . أقل الخط .

- لا أرغب في إفعال الخط يا آرثر ، قال الرّجل ذو الشعر

الرماديّ ، أريد مساعدتك ، هذا إذا كان الأمر ممكناً على البشر . الحقيقة هي أنك لنفسك أسوأ ...

- لا تكن ذرة من الاحترام لي ، حتى لا تكن حباً ، بحق السماء .

وفي نهاية المطاف ، إذا ما تمعنا جيداً ، أنا نفسي لا أكنّ لها حباً ، ما عدت أعلم ، أحبها ثم لا أعود أحبها ، الأمر رهن الظروف ، بل رهن الأيام ، سحفاً . وفي كل مرّة أعقد العزم على الانفصال عنها أدعوها ، لسبب أو لآخر ، الى العشاء في المدينة ، او نتفق على أن نلتقي في مكان ما ، فتأتي بققازيها اللعينين الأبييضين أو أي شيء آخر . لا أعرف الآن . أو يخطر لي عندها أول رحلة لنا في السيارة حين ذهبنا لمشاهدة مباراة برينستاون في نيوهافن . انفجرت العجلة قبالة باركواي تماماً . كان البرد

صقيعاً وكانت تحمل المصباح الكهربائي ، بينما كنت أبذل العجلة ، بنت  
الغانية ، أوتدرك ما أود قوله . لا أعرف ، أو يخطر لي أيضاً - إلهي ، كم  
يسبب لي ذلك من الإحراج - أن أتذكر قصيدة الحمرة تلك والتي أرسلتها  
إليها حين بدأنا بالخروج معاً :

زهري لوني وأبيض ،

جميل فمي وعيناي خضراوان ...

تَبَّأ ، هذه ليست أشياء تقال ، وكنت أتذكرها . لم تكن عينها  
خضراوين - لها عينان كذلك التواقع الملونة ! - ولكن هذا كان يذكرني  
بها... لست أعلم ، وما الفائدة ؟ إنني أفقد صوابي . هل تقفل الخط ؟  
صدقني.

تتنحج الرجل ذو الشعر الرمادي وقال :

- لا أرغب في إفعال الخط يا أرثر ، برغم كل شيء هناك أمر...  
- أهدتني طقماً ، من نقودها هي ، لقد أخبرتك ؟  
- لا ، أنا ...

- ذهبت بكل طيبة الى محلات ... ترييلر ، كما أظن ...  
واشترته . لم أراقفها ، إنتبه ، ما أود قوله إنها تمتلك بعض الجوانب  
الحسنة في شخصيتها ، والأظرف أن الطقم لم يكن سيئاً جداً . كان ينبغي  
فقط أو توسع قياس البنطال ، عند الساقين وأن تقصره قليلاً . هل تفهمني ،  
لها حسنات فعلية .

أصغى الرجل ذو الشعر الرمادي ليضع ثوانٍ أخرى . ثم التفت  
فجأة نحو الفتاة . وكانت النظرة التي رمقها بها ، ولو عابرة ، واضحة  
العبارة عما حدث فجأة في الطرف الآخر من الخط .

- إسمع يا آرثر ، هذا لن يجديك شيئاً ، قال في السماعه . لن يجديك ، أوكد لك . إسمع أقول لك بكل صدق . ستخلع ثيابك وتذهب الى السرير مثل صبيّ عاقل . واهداً قليلاً . لن تلبث جواني أن تصل خلال دقيقة واحدة . وأنت لا تريد أن تراك في مثل هذه الحال ، أليس كذلك ؟ وسيصل آل أنبوغن معها . وأنت لا تريد أن يراك الجميع وأنت في حال مماثلة ، أليس كذلك ؟  
أصغى .

- آرثر ؟ هل تسمعني ؟

- يا إلهي ، إني أمتنعك عن النوم . كل ما أفعله هو ...

- أنت لا تمنعني عن النوم . قال الرّجل ذو الشّعر الرماديّ . لا تقلق لهذا الأمر . قلت لك من قبل لا أنام أكثر من أربع ساعات في الليلة . وما أود أن أفعله فعلاً هو أن أساعدك ، إذا كانت مساعدة البشر ممكنة يا صغيري .

أصغى .

- آرثر ؟ ما زلت هناك ؟

- أجل . ما زلت هنا . إسمع لقد أيقظتك لبقية الليلة بكل حال . أفي إمكانني أن آتي لأشرب كأساً عندك ؟ هل يزعجك الأمر ؟  
استقام الرّجل ذو الشّعر الرماديّ في وقفته ووضع راحة يده الطليقة على رقبته .

- تقصد : الآن ؟

- أجل . طبعاً إذا كان هذا لا يزعجك . لن أمكث سوى دقيقة واحدة . يكفي أن أجلس في مكان ما و ... لستُ أدري . هل توافق ؟

– أجل ، قال الرَّجُلُ ذُو الشَّعْرِ الرَّمَادِيِّ . ولكن في الحقيقة أعتقد  
أَنْ من الأفضل أَنْ لا تأتي يا آرثر .  
أَنْزل يده عن رقبته .

– إفهمني جيداً ، أنت على الرحب وأكثر ، ساعة تأتي ، ولكن  
بصدق ، أعتقد أَنْ من الأفضل لك أَنْ تبقى هادئاً في بيتك حتى تعود  
جواني . وبصدق أحسب أَنْ ما تريده هو أَنْ تكون هنا حين تعود جواني الى  
البيت ، أهذا صحيح أم لا ؟

– أجل ، ما عدت أعرف ، يا إلهي ، ما عدت أعرف .  
– ولكن بلى ، بصدق ، أظن أَنْ هذا صحيح ، قال الرَّجُلُ ذُو  
الشَّعْرِ الرَّمَادِيِّ ، إسمع ، لماذا لا تذهب لتستلقي الآن ؟ هذا سيساعدك على  
استرجاع بعض هدوئك ، وبعد ذلك ، إذا أحببت ، إتصل بي من جديد .  
أقصد إذا كنت ترغب في التحدث قليلاً . وكفّ عن استئثاره مواجهتك . هذا  
هو الأهم . هل تسمعي ؟ ستنفذ ما قلته لك ؟  
– حسناً .

أبقى الرَّجُلُ ذُو الشَّعْرِ الرَّمَادِيِّ السَّمَاعَةَ على أذنه لبضع ثوانٍ ثم  
وضعها في مكانها .

– ماذا قال ؟ ما لبثت الفتاة أَنْ سألت .  
تتاول سيكاراته من المنفضة في وسط كومة من السكاكر الأخرى المستهلكة  
بتفاوت . أخذ نفساً منها وقال :

– كان يريد أَنْ يأتي الى هنا ويشرب كأساً .  
– يا إلهي ! وماذا قلت له ؟ قالت المرأة الشابّة .  
– لقد سمعت ، قال الرَّجُلُ ذُو الشَّعْرِ الرَّمَادِيِّ .

نظر إليها .

- لقد سمعت ، أليس كذلك ؟

سحق سيكارتته في المنفضة .

- لقد كنت مذهلاً ، مذهلاً بالفعل ، قالت المرأة الشابة وهي

ترمقه . يا إلهي القدير ، أشعر بأنني كلبة من أعلى رأسي حتى باطن  
قدمي!

- أتعلمين ، قال الرجل ذو الشعر الرمادي ، لقد كان الموقف

مولماً ، ولا أعلم إذا كنت مذهلاً حقاً كما تحسبين .

- بلى ، كنت مذهلاً ، قالت المرأة الشابة ، أشعر بارتياح ، أشعر

بارتياح تام . أنظر إليّ ! نظر إليها الرجل ذو الشعر الرمادي .

- الحقيقة إنه موقف بالغ الصعوبة ، قال ، أقصد أن كل هذا

خرافيّ ، حتى ليس ...

- حبيبي ، أعذرنني ، قالت المرأة الشابة بحيوية وهي تتحني

عليه ، أعتقد أنك تحترق ؟

نفضت له ظهر كفه بضربات خفيفة من رؤوس أصابعها .

- لا ، هذا رماد .

ابتعدت عنه .

- لقد كنت رائعاً فعلاً ، قالت . سحقاً أشعر بأنني كلبة من أعلى

رأسي حتى باطن قدمي.

- أجل إنه موقف مؤلم جداً . هذا الفتى في طريقه لأن يفقد ...

فجأة رنّ جرس الهاتف . قال الرجل ذو الشعر الرمادي " تبأ !"

ولكنه رفع السماعة قبل أن يرن ثانية .

- ألو ؟ قال .

- هذا أنت يا لي ؟ هل أنت نائم ؟

- لا ، لا .

- إسمع ، فقط أردت أن أبلّغك ، لقد عادت جواني الى البيت .

- ماذا ؟ قال الرَّجُل ذو الشعر الرَّماديّ .

رفع يده اليسرى ووضعها مثل واقية قبالة عينيّه برغم أن النور

كان خلفه .

- أجل عادت لتوها . لم تتأخر أكثر من عشر ثوان بعد مكالمتي

السابقة . وفكرت أنني ربّما ينبغي أن أتصل بك فيما هي في الحمام .

إسمع ، لك مني ألف شكر يا لي . أقصد ، هل تفهم ما أحاول قوله ، ألم

تكن نائماً ، لا ؟

- لا ، لا ، كنت أكاد ... لا ، لا ، قال الرَّجُل ذو الشعر الرَّماديّ

وتتحننح .

- أجل ، أو تدري ماذا حدث ؟ يبدو أن ليونا افتعلت شجاراً

وانتابتها نوبة بكاء ، فطلب بوب من جواني أن ترافقهما لاحتساء شراب ما

في مكان ما للمساعدة على نسيان ما حدث ، لست أدري . المهم ، كما

ترى ، الأمر معقّد جداً . ولقد عادت على كل حال ، يالها من شلّة ا بلا

مزاح ، أعتقد أن تلك العاهرة نيويوك هي التي تسبب كل هذا . وما أنتويه ،

لو سار كل شيء على ما يرام ، هو ، ربما ، أن أجد ركنأ هادئاً في

كونكتيكت ، ليس ضرورة في الجحيم ، ولكن شريطة أن يكون بعيداً كفاية

لنتمكن من العيش بهدوء . أتفهمني ، هي تحب النباتات وما الى هنالك ،

والأرجح أنها ستفقد صوابها لشدة الفرح حين يصبح لديها حديقتها وكل هذا



الهرء . أتفهمني ؟ في النهاية ، ما عءاك أنت نحن لا نعرف أحءاً في نيويورك ، طبعاً إلا شلة من العصابين ! إنه أمر محتوم ، عاجلاً أم آجلاً ، هءه المءينة من شأنها أن تءمر المرء حتى لو كان طبيعياً . أتفهمني ؟ لم يرد الرءل ذو الشعر الرمائي وخلف يءه الواقية كانت عيناه مغمضتين .

- في أية حال سأفاتها حالاً . أو ربماً صباح غد ، فهي مرتبكة الذهن قليلاً . أتفهمني ؟ إنها في أعماقها فتاة طيبة ، وإذا كانت هناك فرصة لتسوية الأمر بيننا ، نحن الإثنين ، فمن الغباء حقاً ألا نحاول . ولماذا لا أحاول أن أتبر حللاً لقضية البقع الصءئة اللعينة . لقد فكّرت بالمسألة وأتساءل يا لي : ألا تعتقد أنني لو ذهبت بنفسي لمقابلة جونيور فقد أستطيع...

- أرثر ، إذا كنت لا تمنع ، كنت أوء ...

- إفهمني جيداً ، لا أريدك أن تحسب أنني اتصلت بك ثانية لأنني أواجه صعوبات في العمل أو أي شيء من هءا القليل . لا علاقة لهءا الأمر برغبتي في الاتصال بك . كنت أفكر فقط أنني إذا كان في استطاعتي أن أسوي الأمر مع جونيور ءون أن أتعب نفسي ، فمن الحمق ألا ...

- إسمع يا أرثر ، قال الرءل ذو الشعر الرمائي وهو يبعء يءه عن وجهه ، لقد أصابني صءاع مفاجئ يفتت رأسي . لا أعلم من أين أتاني ، فهل يزعجك أن نوقف الحديث الآن ؟ وسفتحدث بالأمر غءاً صباحاً... اتفقنا ؟

أبقى السماعة على أذنه لوهلة ثم أقل الخط .

لم تلبث المرأة الشابّة أن واصلت حديثها معه ، ولم يجب . تناول  
من المنفضة سيكارة مشعلة - سيكارة المرأة الشابّة - وأدارها الى شفّتيه  
فانزلقت من بين أصابعه . انحنّت المرأة الشابّة لتساعده على التقاطها قبل  
أن تحرق شيئاً ما ، قال لها دعيني وشأني بحقّ السماء ، فسحبت يدها .

"رجلي المخلّع في كوتكتكت"



كانت السّاعة قاربت الثالثة حين اهدتت ماري جاين أخيراً الى منزل إيلويز ، قالت لإيلويز التي اجتازت الشارع لملاقاتها إنّ كل شيء جرى على خير ما يرام وأنها تذكرت الطريق بدقّة حتى التفتت حول ممرّ "مريك بارك" . قالت إيلويز : " مرّيت بارك يا عزيزتي " ، وذكرتها بأنّها سبق لها أن جاءت مرّتين الى المنزل ، إلا أنّ ماري جاين اكتفت بأن غمخت شيئاً غير مفهوم حول علبتها الكلينكس وعادت فجأة الى سيارتها الديكابوتابل . رفعت إيلويز ياقة معطفها الشّاموا ، وأدارت ظهرها لمجرى الهواء وانتظرت . وبعد هنيهة عادت ماري جاين ، وهي تمسح يدها بورقة كلينكس وكانت لا تزال تبدو شاحبة ومُهَمَّلة المظهر . قالت إيلويز بمرح إنّ الغداء اللعين احترق كله . قطع الخبز الصغيرة ، وكل شيء – ولكنّ ماري جاين قالت إنّها ، بأيّة حال ، تناولت طعام الغداء في الطريق . وبينما كانتا تسيران جنباً الى جنب في اتجاه المنزل سألت إيلويز ماري جاين كيف حدث أنّها حظيت بنهار إجازة . وقالت ماري جاين إنّ إجازتها ليست لنهار كامل وما حدث ببساطة أنّ السيد وينبرغ أصيب بفتق ولازم بيته في لارثشمونت : وعليها ، كل بعد ظهر ، أن توصل إليه بريده وتحضر منه رسالة أو اثنتين وسألت :

– بالمناسبة ماذا يعني الفتق بالضبط ؟

قالت إيلويز وهي ترمي سيكارتها عند قدميها في التّلج المتّسخ ، إنّها لا تعرف بالضبط ، ولكن ليس على ماري جاين أن تقلق للأمر وأنّه مرض غير معدّ . فقالت ماري جاين : " أوه " وبخلت الفتاتان الى المنزل . بعد انقضاء عشرين دقيقة كانتا تتهيان كأسهما الأولى في ردهة الجلوس تثرثران بتلك النّبرة الخاصّة التي لا نجدها إلا في علاقة فتاتين

تفاسمتا في الماضي غرفة نوم واحدة في المدرسة . وكانت هناك صلة أخرى تجمع بينهما : أن أيًا منهما لم تحصل على شهادة التخرُّج . كانت إيلويز تركت المدرسة عام ١٩٤٢ في منتصف سنة التخرُّج ، وبعد اسبوع واحد من العثور عليها برفقة جندي في حجرة مصعد مقفل في الطابق الثالث من المدرسة الداخلية . أمّا ماري جاين فقد كانت هجرت الدراسة في السنة نفسها والصف نفسه والشهر ذاته تقريباً للزواج من جندي غرّ في سلاح الطيران التحق بقاعدته في جاكسون فيل بفلوريدا ، وكان فتى نحيلاً شارد الذهن باستمرار ، من مدينة ديل في الميسيسيبي ، وكان أمضى في السجن شهرين من الأشهر الثلاثة التي صمد خلالها زواجهما لأنه طعن أحد أفراد الشرطة العسكرية .

- لا ، قالت إيلويز ، في الحقيقة كان أصهب .

كانت ممّدة على الكنبه وقد شبكت ساقيها النحيلتين . ولكن

بالغتي الجمال عند مستوى العرقوبين .

- لقد تنامى إليّ أنه كان أظفر ، ردّدت ماري جاين وهي تجلس

على كنبه زرقاء . وأقسمت لي علانة من الناس أنه كان أشقر .

- لا ، لا ، لا بالتأكيد لا ، قالت إيلويز متثابته . لقد كنتُ ، عملياً ، في

الغرفة عندما صبغت شعرها . لكن ماذا يجري ؟ أمّا من سكاثر هنا ؟

- لا بأس ، لديّ علبه مختومة ، قالت ماري جاين . إنها في

مكان ما هنا .

فتّشت في حقيبتها .

- يا لتلك الخادمة المخبولة ، قالت إيلويز دون أن تنهض عن

الكنبه . لقد وضعت خرطوشتي سكاثر جديدتين تحت أنظارها منذ أقلّ من

نصف ساعة . ولن تلبث أن تأتي ، بعد برهة ، لتسألني ماذا عساها تفعل  
بهما . ولكن ، بحق الشيطان ، ماذا كنت أقول ؟

- ثيرنغر ، همست ماري جاين وهي تشعل سيكارة من علبتها .  
- آه ، أجل . أذكر الحادثة كما لو أنني رأيتها مساء أمس . لقد  
صبغت شعرها عشية زواجها من فرانك هانكه ذاك . ألا تذكرينه ؟  
- بصورة غائمة ، أجل . رجل من صنف ثانوي متقدم في السن  
قليلاً وليس فيه ما يُغوي .

- ليس فيه ما يُغوي ، يا إلهي ! من يراه يحسب أنه بيلا لوغوزي  
ولكن غير مغسول !

انفجرت ماري جاين ضاحكة وهي تلقي برأسها إلى الخلف .  
- رائع ، قالت وهي تستقيم من جديد لكي تحتسي شرابها .  
- ناوليني كأسك ، قالت إيلويز .  
أنزلت قدميها الى الأرض ووقفت حافية إلا من جوربيها .  
- يا لها من مخبولة بالفعل ! لقد فعلت ما في وسعي لإقناعها  
بالمجيء الى هنا والشيء الوحيد الذي لم أفعله أن أدفع لو لتملقها . فقط لو  
كنت أعلم ... من أين لك هذا ؟

- هذا ؟ قالت ماري جاين ورفعت يدها وأمست أيقونة عقيق في  
عنقها . ولكني أعلّقها منذ أيام الدّراسة ! إنها هدية من أمي .  
- إلهي ، قالت إيلويز ، وهي تحمل كأساً في كل يد ، أنا لا أملك  
شيئاً يوحى بالتدين لأرتديه ، وإذا حدث أن توفيت أم لو - ها ! ها ! فعلى  
الأرجح أنها لن تترك لي سوى ملقط تلج حفرت عليه الأحرف الأولى من  
إسمها ، أو أي شيء من هذا القبيل .

– بالمناسبة ، كيف تجري الأمور بينكما في هذه الأيام ؟  
– كفي عن المزاح ، قالت إيلويز وهي تتجه نحو المطبخ .  
– هذه الكأس ستكون الأخيرة لي ، هل سمعت ! قالت ماري  
جاين بصوت مرتفع :

– هراء ! مَنْ اتصل بمن ؟ ومن الذي وصل بعد ساعتين من  
التأخير ؟ ولن تغادري هذه الكنبة قبل أن أضجر منك . ولتذهب ترقيتك  
القدرة الى الجحيم !

ألقت ماري جاين رأسها الى الخلف وانفجرت ضاحكة من جديد ،  
ولكنّ إيلويز كانت قد دخلت الى المطبخ .

ولمّا كانت ماري قليلة الصبر على البقاء وحيدة في غرفة نهضت  
وتجهت نحو النافذة ، ورفعت الستائر وأتت بجماح كفيها على إحدى  
العارضتين ، ولكنها ، إذ تحسست الغبار المتراكم عليها ، لم تلبث أن  
رفعتها ومسحتها براحة اليد الأخرى ومكثت منتصبة هناك بلا حراك . كان  
وحل الثلج المتسخ يتجمد صراحةً ، اسدلت ماري جاين الستائر وعادت الى  
الكنبة دون أن تلتفت ، إذ حادثهما ، الى مكتبتين مليئتين بأكداس الكتب .  
وحين جلست فتحت حقيبتها وتناولت منها مرآتها الصغيرة لتتفحص  
أسنانها، وزمّت شفطتها ومررت لسانها بقوة على أسنانها الأمامية  
وتفحصتها من جديد .

– يا له من صقيع في الخارج ، قالت وهي تستدير . تبّاً ، لقد  
فعلت بسرعة ، ألم تضعي فيهما الصودا ؟

جمدت إيلويز في مكانها وهي تحمل كأساً مغبّشة في كل يد .  
مدّت سيّابتيها وكأنهما فوهتا مسدسين وقالت :



- إلزموا مكانكم بلا حراك ! الغرفة محاصرة من كل صوب !  
ضحكت ماري جاين وأعدت مراتها الى الحقيبة .  
إقتربت إيلويز وهي تحمل الكأسين ، ووضعت كأس ماري جاين  
مُنحرفةً على واقٍ خشبيّ مدوّر ولكنها احتفظت بكأسها في يدها . وعادت  
واستلقت على الكنبه .

- ماذا تحسبين أنّها تفعل في المطبخ ؟ قالت . إنّها قابعة على  
قفاها السّمين الأسود تقرأ كتاب " الجلاباب " . لقد أوقعت أوعية الثلج وأنا  
أسحبها من الثلاجة فلم تكدر ترفع عينيها في اتجاهي وبدا عليها الانزعاج .  
- إنّها كأسى الأخيرة ، أوكد لك ، قالت ماري جاين وهي تتناول  
كأسها ، هيه ، إسمعي ، أتعلمين بمن التقيت الأسبوع الماضي ؟ في الطابق  
الأول من محلات لورد أند تايلور ؟

- هم م م ا قالت إيلويز وهي تسوّي أريكة تحت رأسها ، أكيم  
تاميروف .

- مَنْ ؟ قالت ماري جاين ، ومَنْ يكون هذا ؟  
- أكيم تاميروف . إنه ممثل سينمائي ، ويقول دائماً : " أنت تمزح  
ح ببذاءة ، هيه ؟ " ، أنا أعبده ... ليس في هذا المنزل أريكة واحدة  
أستطيع أن أتحمّلها ، بمنّ التقيت ؟

- بجاكسون . كانت ...

- أيتهما ؟

- لم أعد أذكر ، تلك التي كانت معنا في صف علم النفس .

- إذن ، تلك التي كانت لها ...

- مارشيا لويز ، لقد التقيت بها أنا أيضاً ذات يوم ، وهل أرهقتك

بثرتها ؟

- يا الله كم ثررت ، ولكن ، برغم ذلك ، أتدرين بماذا أخبرتني؟

أستاذتنا ، ويتينغ ، لقد توفيت . قالت لي إن بربرة هيل كتبت إليها تخبرها

أن ويتينغ أصيبت بالسّرطان منذ الصيف الماضي وأنها توفيت وكل شيء .

لقد كانت تزن حين ماتت ثلاثين كيلوغراماً . إنه أمر فظيع ، أليس كذلك ؟

- لا .

- إيلويز ، لقد أصبحت بقسوة الإسمنت .

- هم م م ا ماذا قالت بعد ؟

- أوه ا كانت عائدة حديثاً من أوروبا . فزوجها كان ينجز عملاً

في ألمانيا أو أي شيء من هذا القبيل وكانت برفقته . كانوا يقطنون منزلاً

من سبع وأربعين حجرة ولا يشاركها فيه سوى زوجين آخرين وعشرة

خُدّام على الأقل . وكان لها حصانها الخاص أيضاً وكان مدبّر الإسطبل

الذي يعمل في خدمتهم هو نفسه مدربّ الفروسية الخاص لهتلر أو شيء

من هذا القبيل . أوه ا وراحت تروي لي كيف كادت تُغتصب من جندي

أسود . وكانت تروي لي كل هذا وسط ازدحام الطّابق الأول من محلات

لورد أند تايلور ! أنت تعرفين جاكسون جيداً . أخبرتني أنه كان سائق

زوجها . وأنه كان يوصلها الى السوق أو شيء من هذا القبيل ، ذات

صباح . وقالت إنها تملكها الخوف لدرجة أنها لم ...

- إنتظري لحظة .

رفعت إيلويز رأسها ونادت :

- أهذه أنت يا رامونا ؟

أجل ، أجاب صوتُ طفل .

– لو سمحتِ ، أغلقي الباب ورائك ، قالت إيلويز بصوت عالٍ .  
– إنها رامونا ! أه ! كم أشتاق لرؤيتها ، أوتدركين ، لم أرها منذ

أن ...

– رامونا ، نادت إيلويز وهي مغمضة العينين . إذهبى اسى  
المطبخ وقولي لغريس لتتزع لك حذاءك المطاط .

– حسناً ، قالت رامونا ، تعال يا جيمي .

– أوه ، كم أشتاق لرؤيتها ، قالت ماري جاين . أوه ! يا إلهي !  
أنظري ماذا فعلت ! أنا أسيفة ، جداً .

– لا بأس ، دعك من هذا ، قالت إيلويز ، لا أحب هذه السجادة  
اللعيبة بأية حال . سوف أحضر لك كأساً أخرى .

– لا ، أنظري ، لا يزال ممثلاً نصفها !

ورفعت ماري جاين يدها لترتيبها كأسها .

– صحيح ؟ قالت إيلويز ، ناوليني سيكاراة .

مدّت لها ماري جاين علبتها وهي تقول :

– أوه ، كم أشتاق لرؤيتها . من تشبه الآن ؟

أشعلت إيلويز عود ثقاب :

– تشبه أكيم تاميروف .

– لا ، بجد .

– لو ، تشبه لو ، وعندما تكون والدته موجودة يبدون مجتمعين

مثل ثلاثة توائم .

دون أن تنهض طاوت يد إيلويز كدسة منافض على الجهة  
المقابلة للمنضدة الواطئة وأمست بإحداها ووضعتها على بطنها .

– ما أنا بحاجة إليه هو كلب صيد إنكليزي ( كوكر ) أو شيء من  
هذا القبيل ، قالت . شخص ما يشبهني .

– كيف حال عينيها الآن ؟ سألت ماري جاين . أقصد أنها لا  
تزداد سوءاً ولا شيء ، أليس كذلك ؟  
– والله ، ليس على حد علمي .

– وهل تستطيع أن ترى دون نظارة ؟ أقصد حين تنهض في الليل  
لقضاء حاجة أو شيء من هذا القبيل ؟  
– لو حدث لما حكيت لأحد منّا . إنها كتومة جداً وحريصة على  
أسرارها الصغيرة .

انقلبت ماري جاين على كنبتها :  
– ها أنت ، صباح الخير يا رامونا ! قالت . يا له من ثوب  
جميل ! وضعت كأسها على الطاولة .

– أراهن أنك ما عدت تذكريني ، يا رامونا .  
– بلى ، طبعاً تذكرك . مَنْ هي السيدة يا رامونا ؟  
– ماري جاين ، قالت رامونا وأخذت تحك نفسها .  
– مُذهل ! قالت ماري جاين . رامونا هلاً أعطيتني قبلة صغيرة ؟  
– كَفّي عن هذا ، قالت إيلويزا لرامونا .  
فكفت رامونا عن الحكّ .

– هلاً تعطيني قبلة صغيرة يا رامونا ؟ رُدّت ماري جاين .  
– لا أحب تقبيل الناس .

تتحنحت إيلويز وسألت :

- أين جيمي ؟

- إنه هنا .

من هو جيمي ؟ سألت ماري جاين إيلويز .

- أوه ! يا ربي ! إنه حبيبيها . يذهب حيثما تذهب . يفعل كل ما

تفعله . شخصان لا يفصلان .

- حقاً ؟ قالت ماري جاين بشيء من الحماسة .

انحنيت الى الأمام :

- لديك حبيب يا رامونا ؟

كانت عينا رامونا خلف زجاج النظارة السميك لا تعكسان أثر

حماسة ماري جاين .

- لقد طرحت ماري جاين عليك سؤالاً يا رامونا ، قالت إيلويز .

دست رامونا إصبعاً في أنفها الأفتس الصغير .

- كفى ، قالت إيلويز . تسألك ماري جاين عما إذا كان لديك

حبيب .

- أجل ، قالت رامونا وهي لا تزال منهكة بأنفها .

- رامونا ، قالت إيلويز . كفى عن هذا الحال . قلت في الحال .

فأنزلت رامونا يدها .

- حسناً ، أعتقد أنه أمر رائع ، قالت ماري جاين . ما اسمه ؟

هلاً تقولين لي ما اسمه ، يا رامونا ؟ أم أن الأمر سرٌ كبير ؟

- جيمي ، قالت رامونا .

- جيمي ؟ أوه ، أعبد هذا الاسم ! جيمي ماذا يا رامونا ؟

- جيمي جيميرينو ، قالت رامونا .
- إلزمي الهدوء ، قالت إيلويز .
- حسناً ، هذا ما أدعوه إسماً ! وأين هو جيمي ؟ هلاً تقولين لي يا رامونا ؟

- هنا ، قالت رامونا .
- تَلَقَّتْ ماري جاين حولها ثم التفتت نحو رامونا بابتسامة .
- اجتهدت أن تكون الأكثر إغواءً .
- هنا ، أين يا عزيزتي ؟
- هنا ، قالت رامونا ، أنا ممسكة بيده .
- لا أفهم ، قالت ماري جاين لإيلويز وهي تفرغ كأسها بجرعة .
- لا تنظري إليّ أنا ، قالت إيلويز .
- التفتت ماري جاين نحو رامونا .
- آه ، فهمت . جيمي ليس سوى صبيّ صغير من نسج الخيال .

#### مذهل !

- وانحنت ماري جاين بموَدّة الى الأمام .
- كيف حالك يا جيمي ؟ قالت .
- لا يريد أن يُكلمك ، قالت إيلويز . رامونا حدّثني ماري جاين عن جيمي .

- له عينان خضراوان وشعر أسود .
- وبعده ؟
- ليس له أب أو أم .
- وبعده ؟

- ليس لديه بقع نمش .

- وبعده ؟

- يملك سيفاً .

- وماذا بعد ؟

- لست أدري ، قالت رامونا ، وأخذت تحكّ نفسها من جديد .

- لا بدّ أنّه جميل جداً ! قالت ماري جاين وانحنت أكثر الى الأمام

وهي على كنبتها . أخبريني يا رامونا هل خلع جيمي ، هو أيضاً ، حذائه

المطّاط حين دخلتما ؟

- إنه ينتعل جزمة ، قالت رامونا .

- مُذهل ، قالت ماري جاين لإيلويز .

- هذا رأيك أنت . أمّا أنا فتُصم أذناي لكثرة ما تتحدّث عنه طوال

النهار . جيمي يأكل معها ، يستحم معها وينام معها . هي تنام ممّدة

بطولها على جهة واحدة من السرير لكي لا تتقلب عليه وتؤذيه .

كانت ماري جاين مستغرقة فيما يروى لها وتبدو عليها علامات

الغبطة فامتصّت شفّتها العليا قليلاً ثمّ فمها وسألت :

- ومن أين له هذا الاسم ؟

- جيمي جيميرينو ؟ ربّك وحده يعلم .

- الأرجح أنّه إسم صبيّ في الجوار ؟

- لا يوجد صبيّةٌ صغار في الجوار . ولا طفل واحد . فهم

يلقّبونني لاغتيابي بفاني البيوضة ...

- أمي ، قالت رامونا ، هل أستطيع أن أخرج لألعب .

نظرت إيلويز إليها .

- ولكنك عدت لتوَّك الى البيت ، قالت .
- جيمي يريد أن يخرج مرّة أخرى .
- وهل أستطيع أن أسألك عن السبب ؟
- لقد نسي سيفه في الخارج .
- آه منه ومن سيفه اللعين ، قالت إيلويز . حسناً ، هيّا أخرجي ولكن انتعلي حذاءك المطاط .
- هل أستطيع أن آخذ هذه ؟ قالت رامونا وهي تأخذ عود ثقابٍ مقدوحاً من المنفضة .
- هل أستطيع أن آخذ هذا ؟ أجل لا تلعبى في الشارع ، لو سمحت .
- إلى اللقاء يا رامونا ! قالت ماري جاين بصوتٍ عذب .
- لقاء ، قالت رامونا ، تعالَ يا جيمي .
- نهضت إيلويز فجأة واثتصبت واقفة .
- ناوليني كأسك ، قالت .
- لا ، بجد . يا إل . كان ينبغي أن أكون في لارتشمونت الآن .
- أقصد ، أن السيد وبينبرغ على درجة كبيرة من اللطف ، وأكره أن ...
- اتصلي به وقولي له بأنك قُبلت لتوَّك . هيّا أعطني الكأس اللعينة .
- لا ، بجدّ يا إل . أوكد لك ، سوف يزداد الصقيع وسيارتي ليست مجهزة . أوكد لك ، لو أنّي ...
- ليكن الجليد . إذهبي واتصلي به هاتفياً . قولي له إنك ميتة ، قالت إيلويز . أعطني هذه .



- حسناً ... أين الهاتف ؟

- ما بالك ، قالت إيلويز وهي تحمل الكأسين الفارغتين في اتجاه غرفة الطعام . إنه هنا !  
توقفت فجأة عند رفاقة الصفيح الطويلة التي تفصل ردهة الجلوس عن الطعام وجعلتها تصر تحت قدميها . فضحكت ماري جاين ضحكة عصبية .

- أقصد أنك لم تعرفي والت معرفة وثيقة ، قالت إيلويز .  
كانت الساعة الخامسة إلا ربعاً . كانت مستلقية على ظهرها على الأرض ، والكأس موضوعة بتوازن على صدرها النحيل .  
- إنه الفتى الوحيد الذي عرفته والذي كان يعرف جيداً كيف يُضحكني . أقصد كيف يُضحكني فعلاً .  
نظرت الى ماري جاين .

- أتذكرين تلك الليلة . سنة تخرجنا ، حين دلفت تلك المعنوية ، لويز هرمانسون ، إلى غرفتنا بصدريتها السوداء التي ابتاعها من شيكاغو؟  
أشارت ماري جاين بابتسامة إلى أنها تذكر ذلك . كانت ممددة على بطنها وذقنها الى ذراعها قبالة إيلويز . وكان كأسها على الأرض في متناول يدها .

- هكذا بالضبط ، كان يعرف كيف يجعلني أضحك ، قالت إيلويز .  
كان يجعلني أضحك لمجرد أن يكلمني . وكان يجعلني أضحك حين يتصل بي هاتفياً ، حتى أنه يجعلني أضحك برسائله . والأهم أنه لم يكن يحاول أن يكون ظريفاً . كان ظريفاً ، هذا كل ما في الأمر .  
أدارت رأسها قليلاً نحو ماري جاين .

– هيه ، هل يزجك أن تناولينني سيكارة ؟

– ليست في متناول يدي !

– أوه ، تَبّاً !

عادت إيلويز تتأمل السقف .

– ذات مرّة ، قالت ، وقعت . كنت في العادة أنتظره عند موقف

الباص ، عند مخرج البي أكس تماماً ، وفي إحدى المرّات وصل متأخراً ،

وصل في اللحظة التي انطلق فيها الباص . فرحنا نركض وراءه فوقعت

والتوت رجّلي . فقال : " رجّلي المخّلع المسكين " \* . كان يتحدث عن رجّلي

وسمّاها : " رجّلي المخّلع المسكين " .

الله ، كم كان ظريفاً .

– ألا يتمتّع لو ، هو أيضاً ، بحسن الفكاهة ؟ قالت ماري جاين .

– ماذا ؟

– ألا يتمتّع لو ، هو أيضاً ، بحسن الفكاهة ؟

– أوه ، يا إلهي ، مَنْ يدري ؟ بلى ، أعتقد ذلك . فهو يضحك

حين يشاهد الرسوم المتحركة والأشياء الأخرى المماثلة .

رفعت إيلويز رأسها وتناولت كأسها الموضوع على صدرها

واحتست جرعة منه .

---

\* العبارة هنا تقوم على التلاعب على معنى كلمتين مختلفتين في الفرنسية . الظفر

(ongle) والعم (Oncle) . والأصل (Uncle) ( عم ) و (ankle) (رسغ القدم) ،

والحفاظ على تناسب التلاعب لفظاً اخترنا رجّل (ankle) ورجّل (uncle) .

- على أية حال ، قالت ماري جاين ، هذا ليس كل شيء في الحياة . أوكد لك ، ليس كل شيء .

- ما هو الذي ليس كل شيء ؟

- أوه ، تعلمين : الضحك والأشياء المماثلة .

- ومن قال إنه ليس كل شيء ؟ قالت إيلويز . إسمعي ، حين لا

ترغب إحدانا في أن تكون على وشك الرهينة أو أي شيء آخر من هذا القبيل فالأفضل أن تضحك .

ضحكت ماري جاين بعصبية .

- أنت فظيعة ، قالت .

- آه ، يا إلهي ، كم كان لطيفاً ، قالت إيلويز . كان في الوقت

نفسه بالغ الطرافة وبالغ الرقة . ولكنّها ليست من طراز رقة الفتيان الصغار ، لا . كانت رقة بالغة الخصوصية . أو تعلمين ماذا فعل ذات

نهار ؟

- لا ، لا ، قالت ماري جاين .

- كنّا في قطار ترنتون في طريق عودتنا الى نيويورك . وكان

ذلك بعد وقت قصير من تطوعه في الجيش . كان الجو بارداً في المقصورة فبسطت معطفي علينا . وأذكر أنني كنت أرتدي سترة جويس

مورو . أتذكرين تلك السترة الزرقاء التي كانت ترتديها ؟

هزت ماري جاين برأسها إيجاباً ، ولكنّ إيلويز لم تكن تنظر إليها

لترى جوابها .

- إذن ، كانت يده على بطني ، تعلمين ، أقصد شيئاً من هذا

القبيل . المهم ، أنه قال لي فجأة بأنّ بطني جميل جداً بحيث كان يود لو

يصعد ضابط الى المقصورة ويأمره بمد يده الأخرى من الشباك . وقال إنه يريد أن يفعل الأمور بإخلاص . وبعد ذلك سحب يده وقال لمفتش التذاكر أن يستقيم بوقفته . وقال له إن ما لا يستطيع تحمله أن يرى رجلاً لا يبدو أنه فخور ببزته . واكتفى مفتش التذاكر بأن قال له بأن يعود الى النوم .

فكرت إيلويز للحظة ثم قالت :

- لم يكن الأمر يتعلّق دائماً بما يقول ، بل بطريقته في قوله ، هل

تفهمين .

- وهل حدثت لو عنه ؟ أقصد ، هل حدث أن فعلت ؟

- أوه ، قالت إيلويز ، ذات مرّة حاولت أن أحدثه عنه وما أن

بدأت فإنّ أول ما سألني إياه هو عن رتبته .

- وما كانت رتبته ؟

ياه ا قالت إيلويز .

- لا ، أقصد فقط أن أقول ...

وفجأة انفجرت إيلويز بالضحك ، بالقهقهة .

- أتعلمين ماذا قال ذات يوم ؟ قال إنه يشعر بأنه يتقدّم في الجيش

ولكن في اتجاه يختلف عن ذلك الذي يسلكه الآخرون . كان يقول إنه بهذه

الطريقة حين يصبح جنراً لا يكون أصبح عارياً تماماً . وأنّ كل ما سيرتيبه

آنذاك هو إشارة سلاح المشاة ملصوقاً على السترة .

نظرت إيلويز الى ماري جاين التي لم تكن تضحك .

- ألا تجدينه ظريفاً ؟

- بلى . ولكن فقط ، لماذا لا تحدثين لو عنه ، أقصد من حين

لآخر ؟

- لماذا ؟ لأنه على قدر فظيع من الحق ، هذا هو السبب ، قالت إيلويز ، وفي أي حال ، إسمعيني جيداً ، أيتها الفتاة العاملة . إذا ما تزوجت مرة ثانية احرصى على أن لا تخبري زوجك بشيء ، هل سمعت ؟  
- لماذا ، قالت ماري جاين .

- لأنني أقول لك هذا ، هذا هو السبب ، قالت إيلويز . ما يريدونه هو أن يصدقوا أنك تقضين عمرك وأنت تتقينين كلما اقترب منك شاب . أنا لا أمارحك ، صدقيني . أوه ، في إمكانك أن تخبريهم بأي شيء . ولكن لا تكوني صادقة على الإطلاق . وأقول بوضوح ، لا تكوني صادقة أبداً . فإذا ما أخبرتهم بأنك عرفت فتىً وسيماً ، ذات مرة ، يتوجب عليك أن تقولي لهم قبل أن تتمالكي أنفاسك أنه كان وسيماً جداً تقريباً . وإذا أخبرتهم بأنك صادقت فتىً ذكياً فيتوجب عليك أن تقولي عندئذ إنه نوع من العبقرى الذي يعرف كل شيء أو نوع من الداهية الحاد الذكاء . وإلا ألقوك بما رويته لهم كلما سنحت لهم الفرصة .

توقفت إيلويز عن الكلام واحتست جرعة من كأسها وهي مستغرقة في ما قالته .

- أوه ، قالت ، في إمكانهم أن يصغوا جيداً وبانتباه وكل شيء . وتبدو عليهم علامات التفهم العميق . ولكنها مجرد خدعة . صدقيني . فإذا ما وثقت بتفهمهم ولو قليلاً لك أن تغالبي الألف ميتة ، صدقي كلامي . رفعت ماري جاين ، وقد بدا عليها الوجوم ، ذقتها من فوق مسند الكنية. وللتبديل فقط وضعت على ذراعها . كانت تفكر في نصيحة إيلويز .  
- لا تستطيعين القول بأن لو غبي ، قالت وهي ترفع صوتها .

- من لا يستطيع ؟

- أقصد أنه رجل ذكي ، أليس كذلك ؟ قالت ماري جاين بنبرة ساذجة .

- آه ، ماذا يجدي أن نتحدّث بالأمر ؟ قالت إيلويز . لنندع هذا ، لأنني لن أفعل سوى أن أكذب أو هامك . أسكتيني .

- إسمعي . لماذا تزوجته إذن ؟ قالت ماري جاين .

- آه ، يا إلهي ! لست أدري . قال إنه يعبد جاين أوستن . وقال لي إن كتبها تعني له الكثير . هذا بالضبط ما كان يقوله . واكتشفت بعد الزواج أنه لم يقرأ سطرأ واحداً من هذه الكتب . أوتعلمين من هو كاتبه المفضّل ؟

هزّت ماري جاين رأسها بالنفي .

- ل . مايننغ فاينس ، أتعرفينه ؟

- لا ...

- ولا أنا . ولا أحد يعرفه في أي حال ، لقد ألف كتاباً عن قصّة أربعة رجال قضوا جوعاً في الأسكا . لم يعد لو يذكر عنوانه ، لكنّه الكاتب الأروع تأليفاً لم يقرأ مثله في حياته . يا ربّي ! حتى أنه لا يمتلك قدرأ كافياً من الصدق مع النفس ليقول صراحةً إنه أحب هذا الكتاب لأنه يروي قصّة أربعة أشخاص قضوا جوعاً في كوخ من الثلج أو شيء من هذا القبيل ، لذلك يقول إنه مكتوب بروعة .

- أنت لا تكفين عن توجيه الانتقادات ، قالت ماري جاين . أوكد

لك ، أنت تهدرين وقتك في توجيه الانتقادات . فقد يكون ، برغم كل شيء ، رجلاً طيباً ...

- صدقيني ، لا يمكن أن يكون كذلك ، قالت إيلويز .

وفكرت لبرهة ثم أردفت قائلة :

- على الأقل ، أنت لديك عملك . أتفهميني ، على الأقل ...  
- ولكن إسمعي قليلاً ، قالت ماري جاين . ألا تفكرين أنك  
ستخبرينه ، يوماً ما ، بأنّ والْت قد قُتِل ؟ أقصد ، أنّه لما أحسنّ بالغيرة لو  
أنّه علم بأن والْت قد ... أخيراً ، تعرفين ماذا أقصد . أنّه قُتِل وكل شيء .  
- أوه ، مدهش ، أيتها الفتاة الصغيرة - المسكينة - التي - تعمل ،  
قالت إيلويز ، هنا الطّامة الكبرى . وعندما يتحوّل الى مصّاص دماء .  
إسمعي كل ما يعرفه هو أنّني كنت أصادق شاباً يُدعى والْت . أحد جنود  
القُبعات الخضر الذي كان يجيد استخدام الجنس . إنّ آخر ما ينبغي أن  
أفعله هو إبلاغه بأنّه قُتِل . آخر شيء فعلاً ! وحتى لو قلت له - ولن أفعل  
ذلك أبداً - ولكن حتى لو قلت له ، لكي تتمّ الحكاية ، فسأقول له بأنّه قُتِل  
في المعركة .

أبعدت ماري جاين ذقنها قليلاً على ساعدها .

- إل ... ، قالت .

- أجل ؟

- لماذا لا تريدين أن تخبريني كيف قُتِل ؟ أقسم لك بأنني لن أخبر

أحدًا . أرجوك .

- لا .

- أرجوك . أقسم لك ، لن أخبر أحدًا .

أنهت إيلويز كأسها وأعادته الى مكانه فوق صدرها .

- سوف تخبرين أكيم تاميروف بكل هذا ، قالت .

- لا ، أوكد لك ! لن أخبر أحدًا بـ ...

- أوه ، قالت إيلويز . كانت فرقته متمركزة في مكان ما . كان وقت استراحة بين عمليتين أوشيء من هذا القبيل ، هذا ما رواه لي رفيقه حين كتب لي رسالة . كان والت يحاول ، في رفقة فتى آخر ، توضيب مدفأة يابانية صغيرة . إذ أراد أحد الكولونيالات أن ينقلها الى منزله في الوطن . أو أنّهما كانا يوضبان الطرد لا أذكر بالضبط . المهم أنّ المدفأة كانت ملآنة بالوقود والمشاقة فانفجرت في وجهيهما . الفتى الآخر فقد إحدى عينيه فقط .

جعلت إيلويز تبكي وأحاطت كأسها الفارغة براحة يدها لكي لا تقع عن صدرها .

انسلت ماري جاين عن الكنبة . وجررت على ركبتيها بضع خطوات في اتجاه إيلويز وراحت تداعب شعرها .

- لا تبكي يا إل . لا تبكي .

- من يبكي ؟ قالت إيلويز .

- أعرف ولكن لا تبكي . أوكد لك ، البكاء لن يبذل شيئاً .

فتح باب المدخل .

- إنها رامونا ، قالت إيلويز وهي تتشجج . هلاً أسديت لي خدمة .

إذهبي إلى المطبخ وقولي لمن يكون هناك أن يجهز لها طعام العشاء باكراً .

هلاً فعلت ؟

- حسناً ، ولكن عديني بأنك ستتوقفين عن البكاء .

- أعدك . هيّا اذهبي . لا أرغب الآن في الدخول الى هذا المطبخ

اللعين .



نهضت ماري جاين بعد أن اختلّ توازنها ثم استعادته وغادرت  
الغرفة .

في غضون دقيقتين عادت . وكانت رامونا تركض أمامها . كانت  
رامونا تركض وتضرب الأرض بجماع قدميها لإحداث أكبر ضجة ممكنة  
بنعليها المطاطين المحلولي الرباط .

– إنها لا تريد أن أنزع نعليها ، قالت ماري جاين .

كانت إيلويز تتمخّط وهي مستلقية على الأرض ، خاطبت رامونا  
من خلال منديلها .

– أخرجي من هنا وقولي لغريس بأنّ تنزع لك نعليك . أنت  
تعلمين أنّه يُمنع عليك الدخول إلى ...

– إنها في دورة المياه ، قالت رامونا .

أبعدت إيلويز منديلها ورفعت جذعها لكي تجلس .

– هاتي قدمك ، قالت . إجلسي أولاً ، أرجوك . لا ، ليس هنا ...

يا الله !

كانت ماري جاين على ركبتها تبحث عن سكاثرها تحت الطاولة.

– ولكن . خمتي ماذا حلّ بجيمي ؟ قالت .

– ليس لديّ أدنى فكرة . القدم الثانية . لا ، القدم الثانية .

– لقد دعسته سيارة ، قالت ماري جاين . أليس الأمر مأساوياً ؟

– لقد رأيت سكيبر يحمل عظمة بين فكيه ، قالت رامونا لإيلويز .

– ماذا حلّ بجيمي ؟ سألت إيلويز .

– لقد دعسته سيارة ومات . ورأيت سكيبر يحمل عظمة ولم يشأ

– دعيني أرى جيبك قليلاً ، قالت إيلويز .

مدّت يدها وتحسّست جيبين رامونا .

– يبدو أنّك مصابة بحمى خفيفة . إذهبي واطلبي من غريس أن

تطعمك عشاءك فوق . وبعد ذلك تذهبين فوراً الى السرير . وسألحق بك

بعد قليل . إذهبي الآن ، أرجوك ، وخذي معك نعليك .

غادرت رامونا الغرفة بخطى واسعة وبطيئة .

– ناوليني واحدة ، قالت إيلويز لماري جاين . سنشرب كأساً

أخرى .

ناولت ماري جاين إيلويز سيكارة .

– في أية حال إنها حكاية فعلاً ! حكاية جيمي هذا ! يا لها من

مخيّلة !

– م م م . سوف تحضّرين الشراب ، أليس كذلك ؟ هاتي القنينة

معك ... لا أريد أن أذهب إلى هناك . كل هذا المنزل اللعين تنبعث منه

رائحة عصير البرتقال .

بعد الساعة السابعة بدقائق رنّ جرس الهاتف . نهضت إيلويز عن

المقعد خلف النافذة وتلمّست بيدها بحثاً عن حذائها في العتمة . ولما لم تعثر

عليه مشّت بجوربيها نحو الهاتف بخطى هادئة ومتباطئة أحياناً . لم يوقظ

الجرس ماري جاين التي كانت تغفو ممّدة على بطنها على الكنبّة .

– آو ، قالت إيلويز دون أن تضيء الغرفة . إسمع ، لا أستطيع

أنّ أتّي لاصطحابك . ماري جاين هنا . سيارتها مركونة أمام بوابة المنزل

تماماً ضيّعت مفاتيحها . لا أستطيع أن أخرج . لقد فتّسنا طوال عشرين

دقيقة في هذا الشيء الذي ، ماذا تسمّونه ، الثلج والأشياء الأخرى . قد

تستطيع أن تطلب من ديك أو ميلريد إيصالك إلى البيت . ( أصغت ) .  
أوه ، إنه أمر مزعج يا بطّتي . إسمع . لماذا لا تشكّلون ، أنتم الرجال ،  
مفرزة نظامية لتعودوا الى منازلكم في صفوف . وفي استطاعتكم أن  
تصرخوا بهذا الذي تسمونه ، " واحد إثنان ، واحد إثنان " ؛ فيكون  
لمسيرتكم أطيب الأثر .

أصغت من جديد .

– لستُ غريبة الأطوار ، قالت . أؤكد لك ، لا أبداً . إنه مجرد

مزاج سيء .

أعادت السّماعه .

عادت بخطى أقل ثباتاً الى غرفة الجلوس . وعلى المقعد ، أمام  
النافذة ، سكبت في كأسها ما تبقى من قنينة الويسكي . أقل من جرعة  
واحدة . فأفرغتها في فمها وارتعشت وجلست .

عندما أضاءت غريس صالة الطعام انتفضت إيلوبز مذعورة .

ودون أن تنهض صرخت عليها :

– لا داعي لأن تجهّزي المائدة قبل الثامنة يا غريس . فالسيد

ونغلر سيصل متأخراً بعض الشيء .

بدت غريس واقفة في ضوء صالة الطعام ولم تتقدّم خطوة واحدة.

– أوه ، قالت غريس ، يا سيّدة ونغلر هل تسمحين بأن أدع

زوجي يقضي الليلة هنا . لديّ متسع في غرفتي وهو ليس مجبراً على

العودة إلى نيويورك قبل صباح الغد . والطقس رديء جداً .

– زوجك ؟ أين هو ؟

– أوه ، إنه في المطبخ الآن .

- حسناً ، أخشى أنه لا يستطيع أن يقضي ليلته هنا ، يا غريس .

- سيدتي ؟

- قلت لك أخشى أنه لا يستطيع أن يقضي الليلة هنا . أنا لا أدير

فندقاً .

مكثت غريس واقفة لهنيهة بلا حراك ثم قالت :

- حسناً يا سيدتي وعادت إلى المطبخ .

غادرت إيلويز ردهة الجلوس وصعدت السلم المضاء بنور خفيف مصدره صالة الطعام . كان أحد نعلي رامونا ملقى على صحن الدرج فلمتته إيلويز ورمته به ، بكل قوتها من فوق الدرابزين فتدحرج بعنف على أرضية الطابق السفلي .

أضاءت النور في غرفة رامونا وأبقت إصبعها ثابتة على مفتاح الضوء . مكثت جامدة للحظات تنظر إلى رامونا وبعد أن أنزلت يدها عن المفتاح توجّهت إلى السرير بخطى متسارعة .

- رامونا ، استيقظي ، استيقظي !

كانت رامونا تغفو بدعة على أحد طرفي السرير ، إيتها اليمنى إلى الخارج ونظارتها مطوية بعناية ، زجاجها إلى الأعلى ، على منضدة صغيرة تزيئها رسمة دونالد دوك .

- رامونا !

استيقظت الطفلة وهي تشهق شهقات متسارعة . فتحت عينيها على وسعها ولم تلبث أن أغمضتهما .

- أمي ؟

- كنتُ أعتقد ، كما أخبرتني ، بأنّ جيمي جيميرينو دعسته سيارة ومات .

- ماذا ؟

لقد سمعت جيداً ، قالت إيلويز . لماذا تتأمين هكذا على طرف السرير ؟

- لأنّ ، قالت رامونا .

- لأنّ ماذا ؟ رامونا ، لستُ في مزاج ...

- لأنني لا أريد أن أؤدي ميكى .

- مَنْ ؟

- ميكى ، قالت رامونا وهي تفرك أنفها ، ميكى ميكيرانو .

شرعت إيلويز في الصراخ .

- عودي الى وسط السرير ! هيا !

لم تفعل رامونا الخائفة سوى أن نظرت الى والدتها .

- حسناً !

أمسكت إيلويز بعرقوبيّ رامونا وأعادتها وهي ترفعها قليلاً

وتجرّها قليلاً الى وسط السرير . ورامونا لم تقاوم ولم تنتحب . تركتها

تفعل وهي بلا حراك ولكنها لم تستسلم لها .

- والآن ، ستأمين ، قالت إيلويز بصوت متقطع من التعب .

أغمضي عينيك ... أسمعين ، أغمضي عينيك .

أغمضت رامونا عينيها .

اتجهت إيلويز الى مفتاح الضوء وأطفأته . ومكثت طويلاً على

العتبة . ثم فجأة هرعت في العتمة الى الداخل نحو المنضدة ، فصدمت

ركبتها بحافة السرير ولم تشعر بالألم لشدة انهماكها . تناولت نظارة رامونا في يديها الإثنتين ووضعتها على خدها . ودموعها تسيل تبسل زجاج النظارة. " مسكين أيها الرّجل المُخَلَّع العجوز ، كانت تردد ، مسكين أيها الرّجل المُخَلَّع العجوز ". ثم أعادت النظارة الى مكانها على المنضدة ، زجاجها الى الأسفل .

انحنت ، إذ فقدت توازنها ، وتلمّست أغطية السرير . كانت رامونا صاحبة تبكي منذ وقت . قبلتها إيلويز برقة على فمها وأزاحت لها شعرها الذي يغطي عينيها ، ثم غادرت الغرفة .

هبطت السلم هذه المرة وهي تترنح صراحة ، وأيقظت ماري

جاين .

— مَنْ ذا هذا ؟ من هذا ؟ هوه ! قالت ماري جاين وهي تستقيم

جالسة على الكنبه .

— ماري جاين ... إسمعي ، أرجوك ، قالت إيلويز منتحبة .

أذكرين السنة الأولى ، في المدرسة ، وكنت أرثدي ذلك الفستان البني والأصفر وكنت اشتريته من بوميز ، فقالت لي ميريام بالّ لا أحد في نيويورك يرتدي مثله فبكيْتُ طوال الليل ؟.

هزّت إيلويز ساعد ماري جاين بعنف .

— كنت فتاة طيّبة ، قالت . أليس كذلك ؟

اليوم المُرتجى لسمك الموز





كانوا سبعة وتسعين صحافياً في الفندق من نيويورك . وكانوا يشغلون الخطوط الهاتفية بين المقاطعات ، وعلى المرأة الشابة التي تقيم في الغرفة رقم ٥٠٧ أن تنتظر من الساعة الثانية عشرة ظهراً حتى الثانية والنصف لتحظى باتصالها الهاتفي . ولم تهدر وقتها في الانتظار متبذلة . قرأت مقالة في مجلة نسائية رائجة بعنوان : " الجنس ، إنه الفردوس أو الجحيم " . واستخدمت مشطها وفرشاتها . وأزلت بقعة عن تنورة التايور البيج . ونقلت زرار بلوزتها التي اشترتها من محلات ساكس . ونزعت شعرتين برزتا من جديد في شامتها . وعندما اتصل بها المقسم أخيراً كانت جالسة على حافة النافذة تنهي طلاء أظافر يدها اليسرى .

لم تكن امرأة من النوع الذي يخضته منبه الهاتف . بل تتصرف وكأن الهاتف لم يتوقف عن الرنين منذ أن بلغت سنّ الحيض .

وكانت تنهي طلاء خنصرها ، والهاتف يرن ، حريصة على دقة التزام أطرافه . بعد ذلك غطت الحنجور ونهضت وهي تنفض يدها لكي تجفّف الطلاء . ويبيدها الشاغرة - اليمنى - حملت منفضة سكاير ملأنة من حافة النافذة ووضعنها على المنضدة قرب سريرها جانب الهاتف . جلست على طرف أحد السريرين المزدوجين و - بعد خمس رنات أو ست - رفعت السماعة .

- آو ! قالت وهي تحرص على يدها اليسرى بعيدة عن ثوبها الخفيف من الحرير الأبيض .

كان هذا ما ترتديه إضافة الى خفيها . أمّا خواتمها فبقيت في الحمام .

قال لها المقسم :

- خط نيويورك يا سيدة غلاس .
- شكراً ، قالت المرأة الشابة ، ثم تدبّرت مكاناً ملائماً لمنفضة  
السكاير على المنضدة .
- ثم سُمع صوت نسائي :
- موريل ، أهذه أنت ؟
- أبعدت المرأة الشابة السّماعة عن أذنها .
- أجل يا أمي ، كيف حالك ؟
- لقد متت فزعاً ! لماذا لم تتصلي ؟ أكل شيء على ما يرام ؟
- حاولت الاتصال بك أمس وقبل أمس ، ولكن الهاتف هنا ...
- أكل شيء على ما يرام يا موريل ؟
- زادت المرأة الشابة المسافة التي تفصل السّماعة عن أذنها .
- لا بأس . الطقس قاتظ . إنه اليوم الأشدّ قيطاً في فلوريدا منذ...
- لماذا لم تتصلي ! انشغلت عليك !
- أمي ، حبيبتي ، لا تصرخي هكذا ، اسمعك جيداً . اتصلت  
مرتين مساء البارحة . أول مرّة كانت مباشرة بعد ...
- قلت لوالدك إنك ستتصلين . ولكن لا ... كان ينبغي ... أكل  
شيء على ما يرام يا موريل ؟ أصدقيني القول .
- أنا بخير . توقّفي عن هذا السؤال ، أرجوك.
- متى وصلتما ؟
- ما عدت أذكر . الأربعاء صباحاً ، في ساعة مبكرة .
- من كان يقود السيارة ؟

- هو ، قالت المرأة الثَّابَّة . لا تغضبني . قاد السيارة مثل ملاك .  
وكننت سعيدة جداً .

- هو الذي قاد السيارة ! ولكنك وعدتني يا مورييل ...  
قاطعتها المرأة الثَّابَّة وقالت :

- قلت لك ، كان مثل ملاك . أوكد لك لم يتجاوز سرعة الثمانين  
طوال الطريق .

- هل عاود مسرحياته المعهودة مع الأشجار ؟

- أكرر لك أنه كان مثل ملاك . إسمعي يا أمي ، أرجوك...  
طلبت منه أن ينتبه الى الخطوط الصفر وكل شيء وفهم ونفذ ما قلته له .  
حتى فعل ما في وسعه ليتجنب النَّظر الى الأشجار ، أوكد لك . وهل أنجز  
أبي تصليح السيارة ؟

- ليس بعد . طلبوا منه ٤٠٠ دولار من أجل ...

- أمي ، سيمور قال لوالدي إنه سيدفع . ليس هناك ما يدعو ...

- حسناً ، سوف نرى ، كيف كان بالضبط في الرحلة وفيما بعد ؟  
جيداً جداً ، قالت المرأة الثَّابَّة .

- أما زال يطلق عليك ذلك الإسم الرهيب ...

- لا ، ابتكر شيئاً جديداً الآن .

- ماذا ؟

- آه ... وما المهم في ذلك يا أمي ؟

- مورييل أريد أن أعرف . والدك ...

- حسناً ، حسناً ، يسميني " ملكة التسكع الأخلاقي لعام ١٩٤٨ " ،

قالت المرأة الثَّابَّة بضحكة عصبية عاجلة .

- ليس في ذلك ما يدعو الى الضحك يا موريل . ليس مضحكاً  
على الإطلاق . إنه شيء فظيع . إنه كئيب ، هذا كل ما في الأمر . عندما  
أفكر أنه ...

قاطعتها المرأة الشابة :

- أمي ، اسمعي ، أتذكرين ذلك الكتاب الذي أرسله إليّ من  
المانيا؟ أنت تذكرين ، كتاب القصائد الألمانية ؟ ماذا فعلت به ؟ ما عدت  
أذكر مهما حاولت ...

- ما زال عندك .

- أنت متأكدة ؟ قالت المرأة الشابة .

- بالطبع . أعني ما زال عندي . إنه في غرفة فريدي . كنت  
تركته هناك لم يبقَ هناك مكان في ... لماذا تسألين ؟ هل يريد استرداده ؟  
- لا . فقط في الرحلة سألني عنه ، ماذا حلّ به . وأراد أن يعرف  
هل قرأته .

- لكنه بالألمانية !

- أعرف يا أميمتي ، ذلك لا يبذل من الأمر شيئاً . قالت المرأة  
الشابة هذا وهي تضع ساقاً على ساق . قال لي إنّ هذه القصائد كتبها شاعر  
العصر الكبير الأوحّد . وكان ينبغي أن اشتري ترجمة لها أو شيئاً من هذا  
القبيل . أو حتى أن أتعلّم اللغة الألمانية ، تخيلي !  
- إنه أمر فظيع . فظيع ! وكئيب هذا ما أراه ... كان والدك  
يقول لي مساء البارحة بالذات ...

- لحظة واحدة يا أمي ، قالت المرأة الشابة . وذهبت الى علبه  
سكاتها على حافة النافذة ، أشعلت واحدة وعادت لتجلس على طرف  
السرير . وقالت وهي تنفث سحابة :

- أمي ؟

- موريل ، إسمعيني الآن .

- أسمعك .

- لقد حدثني والدك عن الدكتور سيفيسكي .

- آه ، قالت المرأة الشابة .

- لقد حكى له كل شيء . على الأقل هو يقول إنه أخبره كل  
شيء ، أنت تعرفين والدك جيداً . الأشجار وتلك القصة عن النافذة . وتلك  
الفضاعات التي كان يرويها لجذتك حول ما يعتزم فعله في الحياة الآخرة .  
وماذا فعل برسومات برمود الجميلة ... أخبره كل شيء!  
- وماذا إذن ؟ سألت المرأة الشابة .

- عندها قال له الطبيب إن الجيش ارتكب جريمة فعلية عندما  
سمح له بالخروج من المستشفى . وأقول لك الصدق إنه أخبر والدك -  
جازماً - أنه في الأغلب - في الأغلب المرجح قال - لن يلبث سيمور أن  
يفقد عقله كلياً . أقول لك الصدق .

- أعرف طبيباً مختصاً بالأمراض النفسية ، هنا ، في الفندق ،  
قالت المرأة الشابة .

- من هو ؟ ما اسمه ؟

- لا أعلم . إسمه رايزر أو ربّما شيء من هذا القبيل . ويبدو أنه  
طبيب ماهر .

- لم أسمع عنه من قبل .  
- ومع ذلك يبدو أنه جيد جداً .  
- لا تكوني فظةً يا مورييل ، أرجوك . نحن قلقان عليك حقاً !  
وأريد أن أقول لك أن والدك فُكّر ليلة أمس أن يبرق إليك لعودتك  
الفورية... .

- ليس وارداً عندي أن أعود يا أمي ، فكفّي عن مناكفة نفسك .  
- مورييل ، لا أكذب عليك . الدكتور سيفيسكي قال إن سيمور قد  
يفقد كلياً ...

- لم أكد أصل بعد ، يا أمي . إنها عطلة لي منذ سنوات . وليس  
في نيّتي أن أحمل حقائبتي الآن وأعود . وفي أيّة حال لا أعتقد بأنني قادرة  
على السفر الآن . أنا مصابة بحروق جلدية من حمامات الشمس ! ولا أكاد  
أقوى على الحراك من مكاني .

- ضربة شمس ؟ لماذا لم تستخدمي الزيت الواقّي الذي وضعته  
في حقيبتك ؟ لقد وضعته مع ...

- لقد استعملته ومع ذلك أصبت بحروق .
- إنه أمر فظيع . أين أصبت بالحروق ؟
- في كل مكان ، يا أميتي ، في كل مكان .
- يا للفظاعة !
- لكنني سأحيا .
- أخبريني ، هل تكلمت مع ذلك الطبيب ؟
- أجل ، بطريقة ما ، قالت المرأة الشابة .
- ماذا قال ؟ وأين كان سيمور عندما حدثته ؟

– في " صالة أوسيان " . كان يعزف على البيانو . فهو منذ وصولنا ، طوال ليلتين متتاليتين ، لم يتوقف عن العزف على البيانو .

– إذن ، ماذا قال الطبيب ؟

– لم يقل الشيء الكثير . تكلم هو أولاً . كنت جالسة في جواره ، مساء أمس ، أثناء جولة من لعبة البنغو ، وسألني هل الذي يعزف في الصالة المجاورة هو زوجي . وقلت له إنه زوجي ، وسألني هل سيمور يعاني مرضاً أو أي شيء من هذا القبيل ، فقلت له عندها ...

– لماذا طرح عليك هذا السؤال ؟

– من اين لي أن أعرف يا أمي . ربّما لأنه يبدو شاحباً ، وكل الأشياء الأخرى ، قالت الفتاة . باختصار ، بعد جولة البنغو دعاني هو وزوجته لتناول شراب ما معهما . فقبلت الدعوة . زوجته فظيعة . أتتذكرين ثوب السهرة الأسود الذي رأيناه في واجهة " بونوايت " ؟ ذلك الثوب الذي كنت تقولين إنّ على من يرتديه أن يكون صغيراً ...

– الثوب الأخضر ؟

– كانت ترتديه ... ولها وركا سيدة رومانية ! ولم تكف ، طوال السهرة ، عن سؤالني عن سوزان غلاس ، مصممة الأزياء تلك التي تعمل في جادة ماديسون ، عمّا إذا كانت من أقرباء سيمور ؟

– ولكن الطبيب ، ماذا قال الطبيب ؟

– أوه ، أحسب أنه في النهاية لم يقل أشياء مفيدة . أعني أننا كنا في البار آنذاك ، وكل شيء . والضوضاء لا تحتمل .

– طبعاً ، ولكن هل ... هل أخبرته ماذا حاول أن يفعل بكرسي

جذتك .

- لا ، يا أمي ، لم أتطرق كثيراً الى التفاصيل ، قد تتاح لي فرصة وأخبره كل شيء . فهو يقضي معظم أوقاته في البار .

- هل قال لك إن من الممكن أن يصبح ... تعلمين ما أقصد ...

أن يصبح غريب الأطوار وأن يخطر له أن يؤذيك ؟

- ليس تماماً ، قالت المرأة الشابة . ففي هذه الحالة ينبغي أن يعرف عنه أشياء أخرى . طفولته مثلاً ... كما أظن ... أعني كل هذه الترهات . قلت لك يا أمي كان الصخب عالياً وكنا بالكاد نستطيع أن نتحدث معاً .

- حسناً . كيف حال معطفك الأزرق ؟

- نزعت منه الكتفتين .

- وكيف هي الفساتين هذه السنة ؟

- رائعة . ولكن لنساء كوكب المريخ . إذ لا نكاد نرى سوى

الأثواب ذات القماش المذهب وما شابه من البدع ، قالت المرأة الشابة .

- وغرفتك ، كيف هي ؟

- جيدة . أعني لا بأس بها . لم نستطع أن نحصل على الغرفة

التي اعتدنا أن نقيم فيها قبل الحرب . والناس فظيعون هذه السنة . أود لو

ترين أولئك الذين يجلسون الى طاولات متجاورة في المطعم . إذ يحسب

واحدنا أنهم أتوا الى هذا المكان في مقصورات للبهائم .

- هذا ما تريه في كل مكان . وثوب السهرة .

- إنه طويل جداً . رأيت ، قلت لك إنه طويل جداً .

- موريل أقول لك مرة أخرى ، ولكنها ستكون المرأة الأخيرة ،

أكل شيء على ما يرام حقاً ؟



- أجل ، أجل يا أمي ، قالت المرأة الثَّابَّة ، أقول لك أجل للمرأة الألف .

- ولا تريدان أن تعودتي الى البيت ؟

- كلا يا أمي .

- قال لي والدك أمس إنه مستعد لدفع تكاليف السفر لأي مكان تختارينه لقضاء العطلة منفردة ، فيتسع لك الوقت للتفكير ملياً . وفي وسعك قضاء أيام عطلة ممتعة . وفكرنا والدك وأنا ...

- كلا ، أنتما لطيفان ، قالت المرأة الثَّابَّة ، وأنزلت إحدى ساقبيها ، أمي ، هذه المخابرة ستكلفني ...

- عندما أتذكر كيف انتظرت هذا الصبيّ طوال سنوات الحرب... أعني عندما يفكر المرء في كل تلك الزوجات الصغيرات المعتقدات اللواتي ...

- من الأفضل ، يا أمي ، أن نقطع المخابرة ، سيمور سيعود بين دقيقة وأخرى .

- أين هو الآن ؟

- على الشاطئ .

- على الشاطئ ؟ وحده ؟ هل يتصرف على نحو لائق على

الشاطئ ؟

- أمي ، تتكلمين عنه وكأنه مجنون خطير .

- لم أقل هذا يا مورييل .

- هذا ما نظنه حين نسمع كلامك . أتعلمين . كل ما يفعله هناك

أنه يظل ممدداً على الرمال حتى يخلع عنه برنس الحمام .

- لا يخلع البرنس ، لماذا ؟
- لا أعلم ، ربّما لأنّه يخلج من لونه الأبيض الشّاحب .
- يا إلهي ، لكنّه في حاجة للشمس ، ألا تستطيعين إقناعه بخلعه ؟
- أنت تعرفين سيمور جيداً ، قالت المرأة الشّابّة وهي تضع ، من جديد ، ساقاً على ساق . فهو يقول إنّه لا يريد أن يرى ثلّة حمقى تتخلّق حوله لتتفرّج على وشمه .
- لكنّه لا يملك وشماً ! هل وشم جسده في الحرب .
- لا يا أمي ، لا يا أميتي ، قالت المرأة الشّابّة وهي تنهض .
- إسمعي ربّما أتصل بك غداً .
- مورييل إسمعيني الآن .
- نعم يا أمي ، قالت مورييل وهي تتكئ بكل ثقلها على ساقها اليمنى .
- اتصلي بي مباشرة إذا حدث تصرف أو قال لك أي شيء غريب ... تعلمين ماذا أعني . هل تسمعين ؟
- أمي ، أنا لا أخاف سيمور .
- مورييل أريدك أن تعديني .
- حسناً ، أعدك . إلى اللقاء ، قالت المرأة الشّابّة ، وقبلات لأبي .
- وضعت السماعة .

- أرى المزيد من الزجاج ، قالت سيبييل كاربنتر التي تقيم في الفندق مع والدتها . هل رأيت المزيد من الزجاج ؟  
- كفي عن ترداد هذا الكلام ، يا بنيّة . فهذا سيفقد أمك صوابها .  
وكفي عن الحراك ، أرجوك .

كانت السيدة كاربنتر تدهن كتفيّ سيبييل بالزيت ضدّ الشمس .  
وكانت تمسحه بعناية على نتوء عظم الكتفين الطريين كجناحين . وسيبييل  
تجلس بغير ثبات على كرة منفوخة ووجهها نحو المحيط . تلبس مايو  
أصفر ، مايو من قطعتين إحداهما لن تكون ذات فائدة لعشرة أعوام طويلة  
أخرى .

- بالفعل ، لم يكن ذلك سوى منديل حرير ، نعرفه حين ننظر إليه  
عن كثب ، قالت المرأة المستلقية على الكرسي الطويل في جوار السيدة  
كاربنتر . كنت أود أن أعرف كيف عقدته ، كان رائعاً حقاً .  
- فعلاً ، لا بدّ أن يكون رائعاً ، قالت السيدة كاربنتر . سيبييل ،  
كفي عن التملل ، يا صغيرتي .

- هل رأيت المزيد من الزجاج ، قالت سيبييل .  
تتهدّت السيدة كاربنتر وتلمّطت .

- لقد انتهينا . قالت . وغطّت حنجور الزيت . والآن هيّا العبي يا  
بنيّة . ستذهب الماما وتشرب كأساً من المارتيني في صحبة السيدة هويل .  
سوف أحتفظ لك بنحبات الزيتون .

وانطلقت سيبييل إلى طرف الشاطئ المسطح ، تسير نحو جناح  
صيّاد السمك . ولم تتوقّف سوى مرّة واحدة ، لكي تغرز قدمها في قصر

من الرمل مهتم . ولم تلبث أن أصبحت خارج حدود المساحة الخاصة  
بنزلاء الفندق .

اجتازت بضع مئات أخرى من الأمتار ، ثم استدارت فجأة  
وتسلقت راکضة طرف الشاطئ من الناحية الأخرى حيث الرمال المبللة .  
وتوقفت بلا حراك أمام الرجل المستلقي على ظهره .

- أئن تنزل إلى الماء لترى المزيد من الزجاج ؟ قالت .

ارتعد الشاب ورفع يده اليمنى ممسكاً بطرف برنسه . انقلب على  
بطنه ونزع الفوطة الملفوفة التي يغطي بها عينيه . وألقى على سيبيل نظرة  
مواربة .

مرحى ، سيبيل !

- أئن تنزل إلى الماء ؟

- كنت في انتظارك ، قال الشاب . ما الجديد ؟

- ماذا ؟ قالت سيبيل .

- ما الجديد ؟ ما هي أخبارك ؟

- أبي سيصل غداً ، قالت سيبيل ، وهي تركز الرمل فينطير .

- ليس في وجهي يا طفلة ! قال الشاب وأمسك بيده أحد عرقوبي

سيبيل . حسناً أن لوالدك أن يصل . لقد انتظرتة طوال ساعات . ساعات

طويلة !

- أين السيدة ؟ قالت سيبيل .

- السيدة ؟

نفض الشاب براحة يده بعض الرمل العالق في شعره :

- يصعب القول ، يا سيبيل . قد تكون في هذه اللحظة في ألف مكانٍ ومكان . قد تكون عند المزيّن مثلاً ، لصبغ شعرها بلون الفيزون . أو قد تكون في غرفتها تشغل نفسها بالعرائس لأولاد الفقراء .

في تلك اللحظة وفيما هو مستلقٍ على بطنه وضع قبضتيه الواحدة فوق الأخرى وأسند ذقنه عليهما .

- حدثيني عن أشياء أخرى يا سيبيل . إنك ترتدين مايو جميلاً . فإذا كان هناك ما أحبه كثيراً فلا شك أنه المايو الأزرق .

رمقته سيبيل بدهشة ثم خفضت عينيها إلى بطنها المكور قليلاً .

- لكنّه أصفر ، قالت . أصفر !

- لا ؟ اقتربي قليلاً .

تقدّمت سيبيل خطوة إلى الأمام .

- أنت على حق . كل الحق . يا لغبائي .

- ألن تنزل الى الماء ؟ قالت سيبيل .

- ما زلت أفكّر في الأمر . أفكّر في هذه المسألة كثيراً يا سيبيل، أكثر مما تتخيّلين .

تفحصت سيبيل عوامة المطاط التي كان يستخدمها كوسادة .

- ينبغي لها المزيد من الهواء ، قالت .

- أنت محقة . إنّها في حاجة لكمية من الهواء أكثر بكثير مما أرغب في أن أضعه فيها .

أنزل قبضتيه وأسند ذقنه إلى الرّمّل .

- سيبيل ، أنت متألّقة . كم هو ممتع أن أراكِ . حدثيني عن نفسك .. :

- مدّ يده وأمسك بعرقوبي الفتاة .
- أنا من مواليد برج الجدي ، قال . وأنت ؟
- شارون ليشوتز قالت بأنك سمحت لها بأن تجلس جانبك على مقعد البيانو ، قالت سيبيل .
- أهذا ما قالته شارون ليشوتز ؟
- هزّت سيبيل رأسها بإصرار .
- أقلت عرقوبيها ومدد ذراعيه وأسند خذّه على ذراعه اليمنى وقال:
- لا بأس ، أنت تعلمين يا سيبيل كيف تحدث مثل هذه الأمور .
- كنت جالساَ هناك أعزف . ولم أجد أثراً لك في الجوار . جاءت شارون ليشوتز وجلست جانبي . لم يكن في استطاعتي أن أنهرها ، أليس كذلك ؟
- بلى تستطيع !
- لا ، لا ، لم يكن في استطاعتي أن أفعل ، قال الشاب .
- ولكنني سأقول لك ماذا فعلت .
- ماذا ؟
- تخيلت أنها أنت .
- أطرقت سيبيل تحفر في الرّمل .
- هيّا ننزل الى الماء ، قالت .
- حسناً ، قال الشاب ، أعتقد أنّ طاقتي تسمح لي .
- في المرّة القادمة أبعدها عنك ، قالت سيبيل .
- ابعده من ؟
- شارون ليشوتز .

- أوه ، شارون ليشوتز ، قال الشاب . كم يستعاد هذا الإسم  
مازجاً الذكريات بالرغبة !

ثم انتصب فجأة على ساقيه . ونظر إلى المحيط . وقال :

- سيبيل ، سأقول لك ماذا سنفعل . سوف نرى هل نستطيع  
الإمساك بسمكة الموز .

- ماذا ؟

- سمكة الموز . قال ، وحلّ زئار برنسه وخلعه . كان كتفاه  
أبيضين ضيّقين ، وعروقه الزرقاء بارزة تحت الجلد . طوى برنسه مرة  
بالبطول وثلاثاً في الاتجاه الآخر . ثم فرد الفوطة التي كان يغطي بها عينيه  
على الرمال ووضعها عليها . ثم انحنى والتقط عوامة المطاط وحملها تحت  
نراعه الأيمن . وأمسك بيده اليمنى يد سيبيل وركضا معاً صوب المحيط .  
- أحسب أنك لم تري الكثير من سمك الموز في حياتك ؟ قال  
الشاب .

هزّت سيبيل رأسها نفيماً .

- ليس الكثير ، أليس كذلك ؟ بالمناسبة أين تسكنين ؟

- لا أعرف ، قالت سيبيل .

- من المؤكد أنك تعرفين . لا بدّ من ذلك . شارون ليشوتز

تعرف أين تسكن وهي لم تتجاوز الثالثة والنصف من عمرها .

توقفت سيبيل فجأة وسحبت يدها من يده . التقطت صدفة وأخذت

تتأملها باهتمام ، ثم رمتها .

- ويرلي وود ، كونكتيكوت ، قالت . وتابعت سيرها ويطنها إلى

الأمم .

- ويرلي وود ، كونكتيكوت ، قال الشاب ، ألا يصادف أن يكون هذا المكان في جوار ويرلي وود كونكتيكوت ؟  
رمقته سيبيل .  
- هناك أسكن بالضبط ! قالت بنفاذ صبر . أسكن ويرلي وود كونكتيكوت .

خطت بضع خطوات راکضة أمامه ثم رفعت قدمها اليسرى وأمسكتها بيدها وراحت تقفز ، قفزتين أو ثلاثاً على هذه الحال .  
- أنت لا تعلمين كم أصبحت الأمور واضحة ، قال الشاب .  
أفلتت الفتاة قدمها .

- هل قرأت " السامبو الأسود الصغير " ؟ قالت .  
- غريب حقاً أن تسألني مثل هذا السؤال ، لقد أنجزت قراءته أمس مساء .

تلمس يد سيبيل وأمسكها .  
- ما رأيك فيه ؟ سألها .  
- هل تذكر كيف كانت النمر تتقافز حول الشجرة .  
- خلعت أنها لن تتوقف أبداً . في حياتي كلها لم أرَ مثل هذا العدد من النمر .

- لكنها ستة فقط ، قالت سيبيل .  
- ستة فقط ! قال الشاب . أو تقولين فقط !  
- هل تحب الشمع ؟ سألت سيبيل .  
- أحب ماذا ؟ قال الشاب .  
- الشمع ؟



- أحبه كثيراً ، وأنت ؟
- قالت سيبيل نعم برأسها .
- هل تحب الزيتون ؟ سألت .
- الزيتون ؟ أجل . الزيتون والشمع . لا أذهب إلى مكان دون أن أحمل معي زيتوناً وشمعاً .
- أتحب شارون ليشوتز ؟ سألت سيبيل .
- أجل ، أجل أحبها ، قال الشاب . وأكثر ما أحب فيها أنها لا تؤذي الكلاب الصغيرة في ردهة الفندق . لا تؤذي مثلاً ذلك البوليدوغ المنمنم في صحبة السيدة الكندية . قد لا تصدقيني إذا قلت لك إن هناك فتيات صغيرات يستمتعن بنحر الكلب الصغير بأعواد مصاصات السكر الطويلة . ولكن شارون لا تفعل ذلك أبداً . ليست شريرة أو بائسة . ولهذا السبب أحبها كثيراً .
- كانت سيبيل تصغي صامتة . ثم قالت :
- أحب أن أمضغ الشمع .
- ومن لا يحب ذلك ، قال الشاب وهو يغطس بقدميه في الماء .
- برررر .....! يا للصقيع .
- أفلت عوامة المطاط فوقعت .
- لا يا سيبيل ، إنتظري لحظة . إنتظري حتى نبتعد قليلاً .
- تقدّمتها في الماء وبلغا مكاناً يغمر سيبيل حتى خصرها . حملها الشاب بين ذراعيه ومدّدها على بطنها على العوامة .
- ألا تضعين على رأسك قُبعة أو أي شيء ؟
- لا تدعني أفلت منك ، قالت سيبيل بلهجة أمرة ، إمسكني جيداً .

– آنسة كاربنتر ، أرجوك ، أنا أعرف مهنتي جيداً ، قال الشاب .  
كل ما يجب أن تفعله هو أن تفتحي عينيك ما استطعت لرؤية سمك الموز .  
إنه اليوم المرتجى لسمك الموز .

– لا أراه ، قالت سيبيل .

– مفهوم . فهذه الأسماك لها عادات غريبة ، بل غريبة جداً .  
كان لا يزال يدفع العوامة وهو ممسك بها . ويات الماء يغمره  
حتى صدره .

– إن مصيرها مأساوي ، قال الشاب ، أتعلمين يا سيبيل ماذا تفعل  
هذه الأسماك ؟

قالت لا برأسها .

– إنها تدخل في حفرة حيث موز كثير . وعندما تدخل تكون  
أسماكاً كغيرها . وفي الداخل تروح تتصرف وكأنها خنازير . أتعلمين ، لقد  
رأيت مرة سمكة الموز تدخل في حفرة موز وتأكل منه ما لا يقل عن ثمان  
وسبعين موزة .

ثم دفع العوامة ونزيتها إلى ابعده قليلاً صوب عرض المحيط .  
– وبالطبع بعد ذلك تصبح الأسماك سميكة فلا تعود تستطيع أن  
تخرج من الحفرة . لا تعود تستطيع أن تمرّ عبر فتحتها .

– لا تدفني أبعده ، قالت سيبيل . وماذا يصيبها ؟

– ما الذي يصيب ماذا ؟

– سمك الموز .

– أه ، تقصدين حين تأكل الكمية من الموز ولا تعود تستطيع  
الخروج من الحفرة ؟

- أجل ، قالت سيبيل .
- الحقيقة يؤلمني أن أقول لك يا سيبيل إنها تموت .
- لماذا ؟ سألت سيبيل .
- من حمى الموز . أنه مرض فظيع .
- انتبه ، هناك موجة ، قالت سيبيل بعصبية .
- لن نراها ، سوف نخدعها ، قال الشاب . نحن مخادعان .
- أمسك بعرقوبي سيبيل وبدفعة واحدة جعل العوامة تتقدم إلى الأمام ، ارتفعت العوامة على سطح الموجة . وبلل الماء شعر سيبيل الأشقر ، ولكن صرختها كانت مليئة بالغبطة .
- عندما اجتازت الموجة واستعادت العوامة ثباتها رفعت خصلة شعر مبللة عن عينيها وقالت :
- لقد رأيت واحدة .
- واحدة ماذا ؟ يا عزيزتي ؟
- سمكة موز .
- يا إلهي ، مستحيل ! قال الشاب . وهل رأيت موزاً في فمها ؟
- أجل ، قالت سيبيل ، ست موزات !
- أمسك الشاب فجأة بإحدى القدمين الصغيرتين المبللتين وقبّلها .
- هيه ، قالت صاحبة القدم وهي تتلفت .
- هيه ، أنت عينك ! يجب أن نعود أدراجنا الآن . هل اكتفيت ؟
- كلا !
- آسف ! قال ، ودفع العوامة نحو الشاطئ واستطاعت سيبيل أن تنزل عنها . وحمل العوامة وهما يغادران الماء .

– إلى اللقاء ، قالت سيبيلا ثم انطلقت راكضة ، غير أسفة ، في اتجاه الفندق .

لبس الشاب برنسه وعقد زناره . ثم حشر الفوطة في أحد جيوبه .  
التقط العوامة الرطبة والمربكة ووضعها تحت ذراعه . ثم مشى وحيداً نحو  
الفندق على الرمال الرخوة والحارقة .

عند المدخل الذي خصصته إدارة الفندق بالمستحمين ، كانت  
امرأة تضع مرهماً ما على أنفها ، ركبت المصعد إلى جانب الشاب .  
وعندما بدأت حجرة المصعد ترتفع قال الشاب :

– أراك تنتظرين إلى قدمي .

– عفواً ؟ قالت المرأة .

– قلت : أراك تنتظرين إلى قدمي .

– استمحك عذراً ، كنت أنظر إلى الأرض ، قالت المرأة

وأشاحت بوجهها نحو باب المصعد .

– إذا كنت تريدين أن تتظري إلى قدمي أخبريني بصراحة ،

أضاف الشاب ، ولكن كفي عن التلصص .

– أوقفني المصعد هنا ، أرجوك ، أريد أن أنزل ، قالت المرأة

مخاطبة فتاة المصعد .

فتح الباب وخرجت المرأة دون أن تلتفت إلى الوراء .

– لديّ قديمان عاديتان فما الداعي لأن ينظر الناس إليهما ، قال

الشاب ، الطابق الخامس من فضلك .

تناول مفتاح غرفته من جيب البرنس . وخرج عند الطابق الخامس . مشى في الرواق قليلاً ثم دخل الى الغرفة ٥٠٧ كانت تملأ الغرفة رائحة جلد العجول الذي صنعت منه الحقائق ورائحة مزيل طلاء الأظافر .

التفت نحو المرأة التي تنام على أحد السريرين . ثم نحو إحدى الحقائق ، فتحها وأخذ منها عدداً من السراويل الداخلية وسراويل الاستحمام، ومسدساً أوتوماتيكياً من طراز أورتجيز عيار ٧،٦٥ سحب ممشطه تفحصه ثم اعاده . جهز المسدس . واقترب وجلس على طرف السرير الشاغر ، نظر الى المرأة الثابتة ، صوب المسدس وأطلق رصاصة على صدغه الأيمن .



مباشرةً قبل الحرب مع الأسكيمو





كانت تلك خامس صبيحة يوم سبت على التوالي تقضيها جيني مانوكس في ممارسة لعبة كرة المضرب في إيست سايد مع سيلينا غراف ، إحدى ريفيات صف الآنسة بايزهار . وما كانت جيني لتغفل عن اعتبار سيلينا إحدى أكثر الفتيات شُحاً في صف الآنسة بايزهار - وهو الصف الذي يجمع عدداً من التلاميذ الأكثر شُحاً - ولكن ، من ناحية أخرى، لم تكن تعرف ، في حدود عملها ، أحداً غير سيلينا ، يستطيع أن يجلب معه هذا العدد من كرات التنس الجديدة . فقد كان والد سيلينا يعمل في صناعة مثل هذه الكرات أو شيء من هذا القبيل ( وذات مساء حاولت جيني ، أثناء تناول طعام العشاء ، أن تصف لعائلتها كيف يمكن أن يقيم آل غراف مأدبة عشاء كبيرة : ومن جملة ما قالته إنَّ هناك خادماً باللباس الرسمي يقترب من كل ضيف ، من يساره ، ويقدم له بدل كوب عصير الطماطم علبه من كرات التنس ) . ولكنَّ هذا لم يحل دون أن تشعر جيني ببعض الغيظ ، لأنها بعد انتهاء اللعبة عليها أن تصحب سيلينا في سيارة الأجرة فتوصلها الى منزلها ، ويكون عليها أن تدفع الأجرة بمفردها . ومهما يكن ، فقد كانت فكرة العودة من ملعب التنس بسيارة الأجرة لا بالباص هي فكرة سيلينا . وخامس يوم سبت ، وفيما كانت السيارة تسير في يورك أفينيو ، لم تتمالك جيني نفسها فقالت :

- قولي يا سيلينا ...

- ماذا ؟

كانت سيلينا منهمكة بتلمس مفرش أرضية السيارة بيدها .

- لا أجد غطاء المضرب خاصتي ! قالت بتأفف .

وبرغم الحرارة المرتفعة في ذلك النهار ، كانت الفتاتان ترتديان معطفاً فوق سرواليهما القصيرين .

- لقد وضعته في جيبك ، قالت جيني . ولكن قل لي ، إسمعيني قليلاً .

- أوه ، يا إلهي ! لقد أنقذت حياتي !

- إسمعي ، قالت جيني التي كانت تسخر من عبارات الامتحان التي لفظتها سيلينا .

- ماذا ؟

صمتت جيني على مكاشفتها صراحةً بالموضوع . وكانت سيارة الأجرة تقترب من الشارع الذي يقع فيه منزل سيلينا .

- اليوم ، قالت ، ليس في نيّتي أن أدفع الأجرة بمفردتي . أنا لست مليارديرة كما تعلمين .

بدت علائم الدهشة على وجه سيلينا في البداية ، ثم علائم الانزعاج .

- ألا أدفع نصف المبلغ دائماً ؟ سألت ببراءة .

- لا ، قالت جيني بنبرة جازمة . لقد دفعت النّصف أول سبت .

في بداية الشهر الماضي . ومنذ ذلك الحين لم تفعلني ولو مرةً واحدة . لا أريد أن ابدو بخيلة ، ولكنني أقول الصدق ، إذ ينبغي أن أتدبّر أمري بأربعة دولارات ونصف طوال الأسبوع ، ناهيك عن ...

- ولكن أستاُ أنا من يحضر كرات التنس في كل مرة ؟ سألت

سيلينا بجفاء .

تمر لحظات بينهما تشعر جيني خلالها برغبة في خنقها .

- والدك يعمل في صناعتها أو شيء من هذا القبيل . وهي لا  
تكلفك نكلة واحدة ! أما أنا فعليّ أن أبذر نقودي القليلة لأقلّ ...  
- حسناً ، حسناً ، قالت سيلينا حريصة على أن تكون نبرتها على  
قدر من التعالي والحزم لكي تحتفظ لنفسها بالكلمة الأخيرة .  
ويشيء من الغيظ فتّشت في جيوب معطفها .  
- لا أحمل سوى خمسة وثلاثين سنتاً ، قالت بجفاء ، هل تكفي ؟  
- لا ، آسفة . أنت مدينة لي بدولار وخمسة وستين سنتاً . لقد  
دوّنت كل ...

- في هذه الحالة سيكون عليّ أن أصعد وأطلبها من أمي . ألا  
تستطيعين التريث حتى يوم الإثنين ؟ سوف أحضرها لك وأعطيك إياها في  
الملعب . إذا كان هذا يرضيك .  
لم يكن في تصرف سيلينا ما يشجّع على التراضي .  
- لا ، قالت جيني . سأذهب الى السينما هذا المساء . وأحتاج  
نقودي .

مكثت الفتاتان حتى لحظة توقف السيارة أمام منزل سيلينا  
متمسكتين بصمتٍ عدواني فيما أنظارهما مثبتة على زجاج النافذتين  
المتقابلتين . ترجّلت سيلينا أولاً لأنها كانت جالسة لجهة الرصيف . وتركت  
الباب شبه مغلق ، ثم دخلت الى المبنى بخطى متسارعة وبسحنة لا مبالية  
وكأنها إحدى أميرات هوليوود . دفعت جيني الأجرة وكان وجهها مشتتلاً  
لشدة احمراره . ثم لملمت حاجياتها - المضرب والقوطة المنشفة  
والكاسكيت الواقية من الشمس - ولحقت بسيلينا . كانت جيني في الخامسة  
عشرة يبلغ طولها متراً وخمسة وسبعين وتلبس حذاء تنس مقاس ٤٠ ،

وكانت في مشيتها البليدة في نعلين من المطاط تبدو وهي تدخل الى فناء المبنى أشبه بديب صغير . ارتأت سيلينا أنه من الأفضل أن تبقى عينيها مثبتتين على لوحة العذاد فوق حجرة المصعد .

- أصبحت مدينة لي بدولار وتسعين سنتاً ، قالت جيني وهي تقترب منها بخطوات واسعة .

استدارت سيلينا .

- قد يهمك ربما أن تعلمي بأن أمي مريضة ، قالت .

- ممّ تشكو ؟

- بداية التهاب في الرئتين وإذا كنت تعتقدين بأنني أستمتع بإفلاق راحتها لأسباب تافهة كحكاية النقود هذه ...

حاولت سيلينا أن تضمّن عبارتها التي لم تكتمل بكل ما تستطيعه من نبرات العنف اللاذع . وبالفعل فإنّ هذا الخبر ، سواء كان صحيحاً أو مختلقاً ، أربك جيني قليلاً ولكنه لم يُلين موقفها .

- ليست هي من استدان مني المال ، قالت . ولحقت بها الى داخل

المصعد .

حين قرعت سيلينا الجرس ، دخلت الفتاتان الى الشقة - أو الأصح أنّ الباب فُتِحَ وترِكَ مشرعاً من قبل خادمة سوداء . بدا أنّ سيلينا لم تعد توجه إليها أي كلام . وضعت جيني حاجياتها على كرسي عند المدخل ولحقت بسيلينا . وعند دخولها الصالة استدارت هذه الأخيرة وقالت :

- هلاً انتظرت هنا ؟ فقد يكون عليّ أن أوقظ أمي وكل شيء .

- لا بأس ، قالت جيني وألقت بنفسها على كنية .

- لم أكن أحسب أن بإمكانك أن تكوني على هذا القدر من الخسة،  
قالت سيلينا وقد بلغ بها الغضب حد استخدام كلمة " خسة " ولكن دون أن  
تكون لديها الشجاعة لأن تلفظها بصوت مرتفع .  
- الآن ، أصبحت تعلمين ، قالت جيني .

وفتحت عدداً من مجلة " فوغ " أمام عينيها . أبقّت وجهها مخفياً  
خلف المجلة حتى غادرت سيلينا الحجرة ، فأنزلت المجلة ووضعتها فوق  
جهاز الراديو .

تمنّنت بالحجرة وأعدت تأثيثها بمخيلتها ، إذ كانت تلغي عدداً من  
المصابيح من أمكنتها ، وتبدّل في مواضع الزهور الاصطناعية . إذ كانت  
ترى أنها صالة بشعة تتكدّس فيها القذارات التي لا قيمة لها .  
ترامى إليها فجأة صوت رجل من أقصى الجهة المقابلة للشقة .

- أهذا أنت يا أريك ؟

خمت جيني أنه شقيق سيلينا الذي لم تلمحه من قبل . فشبكت  
ساقها الفارنتين وأنزلت أطراف معطفها على ركبتها وانتظرت .  
دخل الى الحجرة شاب يرتدي نظارة ، ومنامة حافي القدمين فاغر  
الفم .

- أوه يا إلهي لقد حسبت أنه أريك ا قال .

ودون أن يتوقف اجتاز الصالة بزيّه هذا وهو يحتضن شيئاً ما  
على صدره الضيق . ثم جاء وجلس على طرف الكنبة المقابل .  
- لقد جرحت إصبعي ، قال بنبرة غاضبة .  
ونظر الى جيني وكأنه كان يتوقّع وجودها في مكانها .

- ألم يسبق لك أن جرحت إصبعك ؟ سألتها . أعني جرحاً بليغاً  
حتى العظم ؟

كان في صوته المتباكي نبرة استغاثة وكأن جيني ، في ردها  
عليه، تقدر أن توفر عليه جهد إزالة الحرج بينهما . وكانت جيني ترمقه  
بعينين جاحظتين .

- في الحقيقة ليس حتى العظم تماماً ، قالت . ولكنني سبق أن  
جرحت نفسي .

لقد كان الفتى أو الرجل - إذ يصعب القول - غريب الأطوار ولم  
تلتق بمثله من قبل . ولمجرد أن رأت شعره أدركت أنه غادر السرير لتوّه،  
ويبدو بوضوح من لحيته النابتة أنه لم يحلق منذ يومين ، وكان مظهره ...  
باختصار لا يدل على أي مكر .

- كيف جرحت نفسك ؟ سألته .

- ماذا ؟

- كيف جرحت نفسك ؟

- بحق الشيطان وهل أعلم ؟ قال بنبرة تُفيد بأنّ الجواب عن هذا  
السؤال سيظل غامضاً إلى الأبد . كنت أبحث عن شيء ما في سلة  
المهملات تلك . وكانت مليئة بشفرات الحلاقة .

- هل أنت شقيق سيلينا ؟ سألت جيني .

- إيه ، يا إلهي أنا أنزف حتى الموت ! أمكثي هنا . في حال

احتجت لعملية نقل دم لعينة .

- هل وضعت شيئاً على الجرح ؟

أزاح شقيق سيلينا إصبعه بتؤدة عن صدره وأراه لجيني لكي ترى بنفسها .

- لا شيء سوى قطعة الورق الصحي اللعين . إنه يوقف النزيف .  
كما نفعل عادة حين نجرح أنفسنا أثناء الحلاقة .

نظر إلى جيني من جديد .

- من أنت ؟ سألها . إحدى صديقات المختلة ؟

- نحن في الصف ذاته .

- آه ، بجد ؟ وما هو اسمك ؟

- فرجينيا مانوكس .

- أهذا أنت ، جيني ؟ قال وهو يرمقها من وراء نظارته .

- أجل ، قالت جيني .

أنزلت ساقها عن الأخرى . وعاد شقيق سيلينا ينظر إلى إصبعه الذي كان موضوع اهتمامه الوحيد من بين كل الموجودات في الحجرة .

- أعرف شقيقتك ، قال بلامبالاة ، إنها نمّامة لعينة .

استقامت جيني في جلستها .

- مَنْ تقصد ؟

- لقد سمعتني .

- إنها ليست نمّامة .

- ليأخذني الشيطان لو لم تكن نمّامة . قال شقيق سيلينا .

- لا ، ليست كذلك .

- ليأخذني الشيطان لو لم تكن كذلك . إنها الملاك . " ملكة أخوية

النميمة " .

رأته جيني يرفع طرف الورقة الصحيّة عن إصبعه ويلقي نظرة عاجلة تحتها .

- أنت حتى لم ترّ أختي من قبل .

- بحق الشيطان ، بلى رأيتها .

- ما اسمها ؟ ما هو اسمها الأول ؟ سألت جيني .

- جوان ... جوان النّمامة .

- مكثت جيني صامتة لهنيهة .

- كيف هي ؟ سألته فجأة .

- لا جواب .

- كيف هي ؟ ألحّت بسوالها .

- لو أنّها تمتلك نصف الجمال الذي تحسّب أنّها تمتلكه لكانت

محظوظة جداً .

لاحظت جيني بعض المكر في جوابه ولكنها لم تعلق عليه .

- لم أسمعها تتحدث عنك قط ، قالت .

- كم يفطر قلبي ، كم يفطر قلبي لهذا الأمر ، أنت تصدقين فعلاً

كم يفطر قلبي .

- بأية حال ، إنّها محظوظة ، قالت جيني وهي تراقبه بانتباه .

وستتزوج خلال الشهر المقبل .

- ستتزوج منّ ؟ سألتها وهو يرفع عينيه نحوها .

- استغلّلت جيني الفرصة التي أتاحها لها حين نظر إليها .

- اسمه لن يعني لك شيئاً .

راح يربّت بأصابعه على ضمّادته المرتجلة .



- إني أرثي لحاله .
- استغرقت جيني في ضحكةٍ صاخبة .
- لا يزال ينزف دماً . ألا تعتقدين بأنه ينبغي أن أضع شيئاً عليه؟
- ماذا أضع عليه ؟ بعض المركوروكروم .
- من الأفضل أن تضع عليه صبغة اليود ، قالت جيني .
- ثم حين أحسّت بأنّ ردها كان مهذباً جداً نظراً للظروف ،
- أضافت:
- لا علاقة للمركوروكروم بهذا .
- ولمَ لا ؟ ماذا لديك ضد استخدامه للجرح ؟
- لا نفع منه في حالتك ، هذا كل شيء . ما يلزمك هو صبغة
- اليود .
- نظر إلى جيني .
- إنها تسبّب وخزاً ، أليس كذلك ؟ أليست الصبغة التي تسبّب
- وخزاً كأنّها وخز الجحيم ؟
- سوف تحس بوخز ، قالت جيني ، ولكن هذا لن يقتلك .
- ودون أن يبدو عليه أنه استاء من لهجة جيني عاد شقيق سيلينا
- ليحدّق في إصبعه .
- لا أحب هذا ، قال .
- لا أحد يحب هذا .
- فهزّ برأسه موافقاً .
- أجل أعلم ، قال .
- رمقته جيني للحظات بصمت .

- كف عن التريبت عليه ، قالت فجأة .

وكما لو صغفه تيار كهربائي سحب شقيق سيلينا يده الأخرى عن الجرح . واستقام قليلاً في جلسته ، أو ، بصورة أدق ، فعل كل ما بوسعه لكي لا يتهالك كلياً أمامها . وراح يحدق باستغراق في الجهة المقابلة من الحجرة . ولم تلبث أن اكتست قسماً وجهه غير المتناسقة بمسحة شرود ، دسّ ظفر سبّابته السليمة بين سنين أماميتين ونزع منها بقية طعام وهو يلتفت نحو جيني .

- هل أكلت ؟ سأله .

- ماذا ؟

- هل تغديت ؟

هزّت جيني رأسها نافية .

- سأكل حين أعود إلى المنزل ، قالت .

فوالدتي تحرص على أن يكون طعام الغداء جاهزاً حين أعود .

- لدي نصف سندويش بالدجاج في غرفتي . أترغبين في بعض

منه ؟ لم أمسه حتى الآن ولا شيء .

- لا ، شكراً . بجد .

- كنت تلعبين كرة المضرب ، فبحق السماء لا بدّ أن تكوني

جائعة !

- ليس هذا المهم ، قالت جيني . المسألة أنّ أمي تحتفظ بطعام

الغداء جاهزاً لحين عودتي . وهي تشعر بالضيق حين لا أكون جائعة ،

أتفهمني ؟

- بدا شقيق سيلينا متفهّماً ما نقول . أو على الأقل هزّ برأسه ونظر إلى ناحية أخرى . لكنّه سرعان ما التفت إليها من جديد :
- ما رأيك بكوب من الحليب ؟ قال .
  - لا ، شكراً ... صدقتني ، شكراً لك .
  - وبحركة عفوية لحنى وحكّ عقبه العاري .
  - ما اسم الشاب الذي ستتزوجه ؟ سأل .
  - تقصد جوان ؟ قالت جيني . اسمه ديك هفندر .
  - واصل شقيق سيلينا حكّ عقبه .
  - إنه ملازم في مشاة البحريّة ، قالت جيني .
  - إذن ، عفواً ؟

ضحكت جيني ضحكةً بلهاء . ومكثت تراقبه وهو يفعل حتى احمرّ عقبه . وحين بدأ يحكّ بطرف ظفره عند معصمه أشاحت بوجهها .

- كيف عرفت جوان ؟ سألته . فأنا لم يسبق لي أن رأيتك في منزلنا ولا شيء .

- لم أطأ عتبة منزلكم من قبل .
- وانتظرت جيني ولكنّه لم يذيلّ تصريحه هذا بشيء آخر .
- أين تعرّفت عليها إذن ؟ سألته .
- حفلة راقصة .
- في حفلة راقصة ؟ متى ؟
- لم أعد أذكر . ميلاد ٤٢ .
- ودسّ إصبعين في الجيب الأعلى لمنامته وتناول منها سيكارة،
- وبدا من حالة السيكارة أنّها بالتأكيد كانت في جيبه حين كان نائماً .

- هلاً ناولتني عبة الكبريت ؟ قال .

تناولت جيني عبة كبريت كانت على الطاولة بجانبها وقدمتها له .  
ودون أن يلتفت أشعل سيكارتته ثم وضع عود الثقاب المحترق في العبة .  
وأسند رأسه إلى الخلف ونفث من فمه نفساً عابقاً لم يلبث أن التقطه  
بمنخريه . وواصل التدخين بهذه الطريقة ، " على الطريقة الفرنسية " . ولم  
يكن سلوكه هذا مجرد دور يلعبه ، دور مشهد الكنبه في مسرحية هزلية ،  
بل يظهر للعلن التجربة الشخصية الحميمه لفتى كان باستطاعته ، في هذا  
الوقت أو ذاك ، أن يحاول حلقة ذقنه بيده اليمنى .

- لماذا جوان نمّامة ؟ سألته جيني .

- لماذا ؟ لأنها كذلك . وليأخذني الشيطان لو أنني أعلم لماذا .

- لا ، أقصد : لماذا تقول إنها نمّامة ؟

التفت نحوها بسحنة من طفح به الكيل .

- إسمعي . لقد كتبت لها ثمانى رسائل لعينة . ثمان ! ولم تردّ

على أي منها .

تردّدت جيني قليلاً .

- إذن لا بدّ أنها كانت مُتشفلة .

- بلى ، بلى هذا ما في الأمر . مُتشفلة . مُتشفلة مثل مرموط .

- لماذا تجذّف هكذا ؟ سألت جيني .

- سحقاً ، هذا صحيح فأنا أتكلّم ببذاءة .

ضحكت جيني ضحكة عاجلة .

- بأية حال ، منذ متى تعرفها ؟

- منذ وقتٍ غير قصير ، على كل حال .

- أجل ولكن أقصد ، هل سبق لك أن اتصلت بها هاتفياً أو أي شيء من هذا القبيل ؟ أعني ، أنت تفهمني جيداً ، هل اتصلت بها أو ...

- لا .

- إذن ، بحق السماء ، ما دمت لم تتصل بها هاتفياً ، ما هو

مأخذك عليها ؟

- ولكن ، لم يكن باستطاعتي أن أفعل !

- لماذا ؟ قالت جيني ؟

- كنت خارج نيويورك .

- آه ! وأين كنت ؟

- أنا ؟ كنت في الأواهيو .

- آه ! كنت في المدرسة الثانوية ؟

- غير مهم ! تركتُ المدرسة منذ مدة .

- آه ! كنت في الجيش ؟

- غير مهم .

رَبَّتْ باليد التي تمسك السيكرة على الجهة اليسرى من صدره .

- الخافق ، قال .

- قلبك ؟ قالت جيني . ما به قلبك ؟

- لست أدري شيئاً لعيناً مما به . لقد أصبت في صغري بحمى

روماتزمية . ألم فظيع في ...

- ولكن ، أخبرني ، ألم يُحظَر عليك التدخين وكل هذا ؟ أقصد ،

ألا ينبغي أن تتوقف عن التدخين وما إليه ؟ لقد سمعت الطبيب يخبرنا ...

- تَبّاً ! إنهم لا يتوقفون عن رواية ترهاتهم ، قال .

- صمتت جيني لهنيهة .
- ماذا كنت تفعل في الأوهايو ؟ سألته .
- مَنْ ، أنا ؟ كنت أعمل في قذارة يسمونها مصنع طيران .
- انت ؟ قالت جيني . وهل كنت مرتاحاً في عملك ؟
- هل كنت مرتاحاً ؟ ردد قولها وهو يقلد نبرتها بسخرية . كنت أعشق عملي . فلطالما كنت شغوفاً بالطائرات . إنها جميلة !
- كانت جيني مأخوذة بسياق الحوار لدرجة أنها لم تشعر بانزعاج .
- كم استغرق عملك هناك ؟ في مصنع الطيران ؟
- لست أدري . بحق السماء . سبعة وثلاثون شهراً .
- نهض من مكانه واتجه نحو النافذة . وراح يتأمل الشارع وهو يحك عموده الفقري بإبهامه .
- أنظروا إليهم ، قال . زمرة الحمقى !
- مَنْ ؟ قالت جيني .
- لست أدري ، كل الناس .
- إذا أبقيت إصبعك إلى الأسفل هكذا فسوف ينزف من جديد .
- أطاعها . أسند قدمه اليسرى على حافة النافذة ووضع يده المجروحة على فخذه في وضع أفقي . وواصل تأمله في الشارع .
- إنهم ، جميعهم ، يقفون في الطابور أمام مجلس المراجعة اللعين هذا ، جميعهم ، قال . في المرة القادمة سنقاتل الأسكيمو . هل كنت تعلمين ذلك ؟
- أَل ماذا ؟ قالت جيني
- الأسكيمو ! إفتحي أذنيك بحق السماء !

– ولماذا الأسكيمو ؟

– لست أدري لماذا ! ومن أين لي أن أعرف بحق السماء ؟ وهذه المرأة سيجنّدون العجائز . الرجال الذين يقاربون الستين . ولن يُجند أحد لم يبلغ الستين أو ما يقاربها . قال . كل المسألة أنهم يوفّرون عليهم عدد الساعات ، هذا كل ما في الأمر ... إنها فكرة عبقرية !

– على أية حال لن تكون ، أنت ، مجبراً على الاشتراك فيها ، قالت جيني بحسن طويّة ، ولكنّها لم تلبث ، حتى قبل أن تنتهي عبارتها ، أن أدركت بأنها ترتكب غلطة .

– أعلم ، قال بنبرة عالية .

أنزل قدمه عن حافة النافذة التي فتحتها ورمى بنقطة سيكارتته إلى الشارع . استدار وأعطى ظهره للنافذة .

– قولي ، هل تؤدين لي خدمة . حين يصل الشاب هلاًّ تقولين له بأنني سأكون جاهزاً خلال دقيقتين ؟ ليس عليّ سوى أن ألق ، هذا كل شيء ، أوكي ؟

أشارت جيني برأسها إيجاباً .

– أتودين أن أطلب من سيلينا أن تسرع أو أي شيء ؟ هل تعلم

أنك هنا ؟

– أوه ، إنها تعلم ، قالت جيني . ولديّ متسع من الوقت ، شكراً

لك .

هزّ شقيق سيلينا برأسه وأطال النظر ، مرّة أخيرة إلى إصبعه كما لو أنه يود التحقق من أنّ حالته تسمح له باجتياز المسافة التي تفصله عن غرفته .

- لماذا لا تضع عليه ضماداً لاصقاً ؟ أليس لديك ضمادات أو أي

شيء من هذا القبيل ؟

- لا ، قال . تبّاً ، لا تقلقي للأمر .

وخرج من الحجرة مجرداً خطاه .

ولم تمضِ ثوانٍ حتى عاد أدراجه حاملاً نصف السندويش .

- كلي هذا ، قال . إنه لذيذ .

- حقاً ، أنا لستُ ...

- خذي هذا ، بحق السماء . لم أضع فيه سماً أو أي شيء .

تناولت جيني نصف السندويش .

- حسناً ، شكراً جزيلاً ، قالت .

- إنه بالدجاج ، قال وقد مكث في مكانه وهو ينظر إليها . لقد

اشتريته مساء أمس من دكان جزارة لعين .

- يبدو أنه لذيذ .

- إذن كليه .

فقضمت جيني لقمة منه .

- إنه لذيذ ، أليس كذلك ؟

ابتلعت جيني اللقمة بصعوبة .

- لذيذ جداً ، قالت .

هزّ شقيق سيلينا برأسه وأجال نظراته الساهية في أرجاء الحجرة

وهو يحك صدره .

- لا بأس إذن ، أعتقد أنه من الأفضل أن أذهب لارتداء ثيابي ...

سحقاً، هناك من يقرع جرس الباب الا تحركي من مكانك ، سأفتح بنفسي .



وحين قال هذا كان قد غادر الحجرة .

حين وجدت أنها وحدها في الحجرة فتشّست من حولها دون أن تنهض عن مكان تخبئ فيه السندويش . وسمعت خطوات تجتاز الرواق . فدفست السندويش في جيب معطفها .

رجل ثلاثيني ، لا قصير القامة ولا طويلها ، دخل إلى الحجرة . ولم تكن ملامحه المتناسقة وشعره القصير أو تفصيل ثوبه وطرارز ربطة عنقه لتشير إلى حقيقة ما يكون . أحد أفراد أسرة تحرير مجلة مرموقة ، أو قد يكون ممثلاً في فرقة مسرح تقدّم عرضاً في فيلادلفيا ، أو قد يكون يعمل في مكتب محام .

– مرحباً ! قال لها بود .

– مرحباً !

– هل رأيت فرانكلين ؟ سألتها .

– إنه يطلق ذقنه . طلب مني أن أقول لك بأن تنتظره . لن

يستغرقه ذلك أكثر من دقيقة .

– أوه ، يا إلهي ! إنه يطلق !

نظر إلى ساعته . ثم جلس على كنبه من الدمقس الأحمر وشبك

ساقيه وغمر وجهه بكفيه . ثم فرك جفنيه بطرف أصابعه طويلاً ، كأنه أحسّ بتعب شديد وكان عينيه تؤلمانه لشدة التعب .

– لقد كان هذا الصباح أسوأ ما مرّ عليّ في حياتي ، قال وهو

يرفع يديه عن وجهه .

كان صوته يصدر عن حنجرته كأنّ التعب يحول دون استخدامه

لرئتيه .

- ماذا جرى لك ؟ سألت جيني وهي تنظر إليه .  
 - آه ... إنها قصّة طويلة . وليس من عادتي أن أزعج أناساً لا  
 أعرفهم منذ عشرة قرون على الأقل .  
 كان يجيل نظراته الغائبة والعبوسة على النوافذ .  
 - على أية حال لن أدع الطبيعة الإنسانية تغلبني مرّة ثانية . حتى  
 ولو تكلفاً . وصدقيني حين أقول هذا .  
 - ماذا جرى لك ؟ رُدّت جيني .  
 - آه ، يا إلهي ! ذلك الكائن الذي يشاركني السكن في شقتي منذ  
 شهور وشهور ... ولكن دعينا منه لا أطيق التحدث عنه ... ذلك الكاتب ا  
 أضاف بشيء من الخيلاء وكأنّه على الأرجح تذكر الحبكة المفضّلة في  
 إحدى روايات همنغواي .  
 - ماذا فعل بك ؟  
 - بصراحة ، قال الرجل ، من الأفضل ألا أبدأ .  
 تناول سيكارة من علبته الخاصة ، دون أن يلتفت إلى اللعبة  
 الموضوعية على الطاولة وأشعلها بولاعته . كانت يدها كبيرتين . لم تكونا  
 تبدوان قويتين بشكل خاص ، ولا بارعتين أو رقيقتين . ومع ذلك فقد كان  
 يحرّكها كما لو أنهما كانتا تمتلكان سطوة جمالية يصعب التحكّم بها .  
 - لقد قررت أن لا أفكر ثانية في الأمر ، قال ، ولكنني لازلت  
 غاضباً . إسمعي ، فجأة وصل ذلك الكائن الكريه من ألتكونا في بنسلفانيا -  
 أو شيء من هذا القبيل - ، وبدا لي أنه كان يتصوّر جوعاً ، وكنت متفهماً  
 ولا تنقصني الطيبة - السامري الطيّب ، الصريح النسب - فاستصفتته في  
 بيتي : شقة منمنمة صغيرة حتى أكاد أحسب أنها لا تتسع لي وحدي .

قدّمته لجميع اصدقائي . تركت له مطلق الحرية في أن يزحم شقتي بمخطوطاته وأغقاب سكاثره وزبائله ولم أكن أبالي . عرفته إلى كل منتجعي المسرح في نيويورك . وكنت أحمل قمصانه الوسخة إلى المصبغة وبالعكس . والطامة الكبرى ...

استعاد الرجل الشاب أنفاسه .

– وكان جزاء لطفي وتفهمي ، أضاف قائلاً ، أنه غادر خلسةً هذا الصباح ، بين الخامسة والسادسة دون أن يترك ولو كلمة وحمل معه كل ما وقعت عليه حوافره القذرة .

صمت قليلاً ليأخذ نفساً من سيكارتته . ونفث الدخان في سحابة رفيعة ومتطاولة .

– هيا ، ولكني لا أريد حتى أن آتي على ذكره . لا ، كفى !

– رمق جيني بنظرة .

– أعجبني معطفك .

قال هذا ونهض عن الكنية . اجتاز الحجرة وأمسك طرف المعطف بين اصابعه .

– إنه رائع . إنه أول جلد شاموا من هذه النوعية الجيدة أراه بعد الحرب . هل لي أن أسألك من أين ابتعته ؟

– لقد ابتاعته أُمي من ناستو .

فهزّ الرجل رأسه إيجاباً وعاد إلى الكنية .

– إنه أحد الأمكنة النادرة التي لا يزال يتوفّر فيها جلد شاموا من نوعية جيدة .

جلس .

– هل مكثت هناك لمدة طويلة ؟

– ماذا ؟ قالت جيني .

– هل مكثت والدتك في ناستو طويلاً ؟ أسألك لأنّ أمي مكثت هناك طوال شهر كانون الأول وبعض كانون الثاني . في العادة أنا أرافقها كل عام . ولكن هذه السنة كنت منهمكاً ببعض المشاغل ولم أستطع أن أتغيّب .

– كانت هناك في شهر شباط .

– مذهب وأين نزلت ؟ أتعلمين ؟

– نزلت في ضيافة عمّتي .

هزّ برأسه .

– هل لي أن أسألك عن إسمك ؟ أحسب أنّك إحدى صديقات أخت

فرانكلين ، أليس كذلك ؟

– أنا رفيقة صفها ، قالت جيني دون أن تجيب على القسم الأول

من سؤاله .

– ألسنت ماكسيم ، الذائعة الصيت ، التي تتحدث عنها سيلينا

باستمرار .

– لا ، قالت جيني .

وراح الرجل الشاب يفرك مقالب بنطاله براحة كفه .

– ثيابي مليئة بوبر الكلاب من رأسي حتى أخمص قدمي . لقد

رحلت أمي إلى واشنطن لقضاء عطلة نهاية الأسبوع وتركت لي كلبها في

شقتي . في الحقيقة إنّه كلب ظريف ولكنّه عديم التربية لدرجة لا توصف .

ألاّديك كلب ؟

- لا .

- صراحة أنا أرى أنه لمن القسوة بمكان أن يتم احتجاز الكلاب في المدينة .

كفأ عن فرك مقالب بنطاله ، واسترخى في جلسته على الكنية وألقى نظرة على ساعته .

- لم أرَ هذا الصببي يوماً دقيقاً في مواعيده . نحن ذاهبان لمشاهدة " الجميلة والوحش " لكوكتو ، هذا الفيلم بالذات ينبغي أن يُشاهد منذ بدايته وإلا ، أقصد أن أقول ، وإلا فقد سحره . هل شاهدته .

- لا :

- أوه ، ينبغي أن تشاهده ، قال . لقد شاهدته ثماني مرات على التوالي . إنه العبقريّة الخالصة . وها أنذا منذ شهور طويلة أحاول إقناع فرانكلين بمشاهدته .

وهزّ برأسه يائساً .

- يا لغرابية أذواقه ! أثناء الحرب كنا نعمل معاً في المكان الرهيب نفسه ، وكان هذا الصغير يجبرني دائماً على مشاهدة أفلام لا تطاق . أفلام عصابات ورعاة بقر وحتى بعض أفلام الكوميديا الاستعراضية!...

- كنت تعمل أنت أيضاً في مصنع الطيران ؟ قالت جيني .

- بحق السماء ، أجل . لسنوات وسنوات . ولكن دعينا لا نتحدّث

عن ذلك ، أرجوك .

- وهل أنت مريض بالقلب مثله ؟

- يا إله السموات ، لا طبعاً ! مستي الخشب !

نقر نقرتين جامدتين على ذراع الكنبه .  
- لديّ جسمٌ ...

حين دخلت سيلينا إلى الحجره نهضت جيني بحيوية وذهبت لملاقاتها . كانت سيلينا قد استبدلت الشورت الذي كانت ترتديه بفستان ، الأمر الذي كان في العادة من شأنه أن يثير حفيظة جيني .  
- آسفة لأنني جعلتك تنتظرين ، قالت سيلينا بتهذيب بارد . ولكن كان عليّ أيضاً أن أنتظر حتى تستيقظ الماما ... مرحباً أريك !  
- مرحباً !

- على اية حال لم أعد أريد هذه النقود . قالت جيني بصوت منخفض بحيث لا تسمعها سوى سيلينا .  
- ماذا ؟

- لقد فكرتُ في الأمر . وبأية حال ، أنت تفهمين قصدي ، أنت تحضرين الكرات دائماً ، وكل شيء . كنت قد نسيت .  
- ولكنك كنت تقولين إنه بما أنني لا أدفع ثمنها ...  
- هلاً رافقتني إلى الباب ، قالت جيني ، وهي تسبقها دون أن توذّع أريك .

- ولكن كنت أحسب أنك ستذهبين إلى السينما هذا المساء كما قلت لي وأنت في حاجة للنقود ؟ قالت سيلينا حين وصلتا إلى الرواق .  
- أنا متعبة جداً ، قالت جيني .  
انحنت وجمعت حاجيات التمس خاصتها .

- إسمعي ، سأتصل بك هاتفياً بعد العشاء . أأدرك ما تفعلينه هذا  
المساء ؟ ربما استطيع أن أمرّ لأراك ؟  
نظرت إليها سيلينا باستغراب وقالت حسناً !  
فتحت جيني الباب وتوجهتا نحو المصعد . وضغطت على الزر  
الكهربائي .

- لقد قابلت أخاك ، قالت .  
- حقاً ؟ إنه صبيّ جيد أليس كذلك ؟  
- بالمناسبة ماذا يفعل الآن ؟ سألت جيني بشيء من اللامبالاة .  
هل يعمل أم ماذا ؟  
- لقد توقّف لتوّه عن العمل . بابا يريد أن يعود إلى الدراسة  
ولكنه لا يزال يرفض .  
- لماذا ؟  
- لست أدري ، يقول إنه أصبح عجوزاً لمثل هذه الأمور وأشياء  
من هذا القبيل .

- كم عمره ؟  
- لست أدري . أربعة وعشرون عاماً .  
فتحت أبواب المصعد .  
- سأتصل بك لاحقاً ، قالت جيني .  
وحين أصبحت في الخارج هرعت راكضة في اتجاه جادة  
لكسنغتون لتستقل الباص . وبين الجادة الثالثة ولوكسنغتون ، راحت تبحث  
عن حافظة نقودها في جيب معطفها ووجدت نصف السنديش . فتناولته  
وأرخت ذراعها لكي تسقطه في الشارع ولكنها تراجعته عن ذلك وأعادته

إلى جيبها . فمئذ بضع سنوات ، كان عليها أن تتخلص من صوص الفصح  
الذي وجدته نافقاً في نشارة الخشب في سلّة المهملات ، فاستغرقتها ذلك  
جهد ثلاثة أيام بطولها .



الرجل الضاحك



عام ١٩٢٨ - وكنت في التاسعة آنذاك - انتميت قلباً وقالباً إلى منظمة كانت تُعرف بإسم "منتدى الكومانش" . وكُنّا ، نحن ، خمسة وعشرين كومانشيّاً يجمعنا قائدنا كل يوم من أيام الدراسة ، في الساعة الثالثة بعد الظهر ، عند مدخل المدرسة الابتدائية رقم ١٦٥ ، شارع ١٠٩ ، قرب جاّدة أمستردام . وكُنّا نصعد متدافعين متغالبين إلى الباص القديم الذي حوّلته القائد إلى وسيلة نقل تنقلنا إلى سنترال بارك ( مقابل اتفاق مالي تدبّره مع الأهل ) . وكُنّا نقضي كل الوقت المتبقّي من بعد الظهر ، ونحن نلعب "الركبي" أو كرة القدم أو البايزبول ، حسب ما تسمح به المواسم ( وإن ببعض التجاوز ) . أمّا في الأيام الماطرة فكان القائد يصحبنا دائماً إلى "متحف التاريخ الطبيعي" أو إلى "متحف العاصمة للفنون" .

أيام السبت والأعياد كان القائد يمرّ بمنازلنا صباحاً ويضعنا في باصه الخردة ويقودنا إلى خارج مانهاتن في اتجاه ما كان يبدو لنا فسحات شاسعة في الهواء الطلق وحديقة فان كورتلند أو باليساد . فحين نكون راغبين في مباراة رياضية نذهب إلى حديقة فان كورتلند حيث الملاعب مطابقة للقياسات المتعارف عليها ، وحيث لا يشمل فريق الخصم لا عربات الرضخ ولا العجائز النزقات المسلّحات بعكّازاتهم . وحين تغلب ميولنا الكومانشيّة كُنّا نذهب إلى باليساد حيث نخيم ، ونعرّض هناك لبعض التجارب العصيبة ، ( أذكر أنني انتهيت ذات يوم ، في مكان ما من تلك المنطقة الوعرة التي تمتد من يافطة مدخل لينيت حتى الطرف الغربي من جسر واشنطن . إلا أنّ ذلك لم يفقدني رباطة جأشي . فجلست تحت يافطة

إعلانية كبيرة ، ومُعتماً فتحت سلّة طعامي لأسدّ رمقي بلقمةٍ شبه موقن بأنّ القائد سيُعثّر عليّ . فقد كان القائد يعثر دائماً علينا ) .

عندما كان لا يتولّى رعاية عصابة " الكومانش " ، كان القائد يُدعى جون جلدوسدسكي من ستاتن آيلاند . شاب في الثانية أو الثالثة والعشرين ، خجول جداً ورقيق جداً ، يدرس الحقوق في جامعة نيويورك ، وكان بصورة عامّة إنساناً يترك في الآخرين انطباعاً يصعب أن يُنسى . ولن أحاول هنا أن أعدّد كل مآثره وكل مزاياه . وأكتفي بالمناسبة أن أشير إلى أنّه كان قائداً كشافياً ، وأنّه كاد يُسمّى نصيف الفرق لكأفة أميركا عام ١٩٢٦ ، وأنّه دُعي لمباراة اختبار من قبّل فريق " عمالقة نيويورك " في لعبة البايزبول . كان الحُكم الهادئ والعاقل في كل نزاعاتنا الرياضيّة ، وخبيراً لا يُضاهي في إضرام النار أو إخمادها ، ومسعفاً ذا دراية وتواضع . وكنا جميعاً من أصغر أزرع فينا حتى أكبرنا ، نحبه ونكُنّ له الاحترام .

لقد حفظت في ذاكرتي صورة واضحة لما كان عليه القائد عام ١٩٢٨ . فلو كانت الأمنيات تقاس بالسنتمترات ، لكنّا ، نحن ، معشر "الكومانش" ، جعلناه ، في مخيلتنا عملاقاً في ومضة عين . ولكن بما أنّ الوقائع هي الوقائع ، فقد كان فتىً ربيعاً ، لا تتعدى قامته المتر والستين أو الإثنتين والستين على أبعد تقدير . كان شعره شديد السواد حليقاً ، وأنفه عريضاً وضخماً ، أمّا جذعه فكان تقريباً بطول ساقيه . وكانت كتفاه البارزتان تحت سترة الجلد ، قويتين ، ضيقتين ومنحنيّتين . ومع ذلك فإن

القائد كان يبدو لي آنذاك وكأنه يجمع في شخصه معظم ملامح الحُسن التي كنت أراها في صور باك جونز وكن ماينار وطوم ميكس .

في قترات ما بعد الظهيرة ، حين تُعتم السماء فلا يتيح الضوء المتبقي لفريق خاسر تكرار الضربات الحرة والتجاوزات ، كُنَّا نحن معشر " الكومانش " ، نستسلم كلياً وبشيء من الأثرة لموهبة قائدنا في سرد القصص . وكُنَّا عندئذٍ نتحوّل إلى زمرة متشاحنة وغاضبة للاستيلاء ، بقوة الساعد أو قذاعة اللسان ، على المقاعد الأقرب إلى القائد في الباص ( كان الباص مجهزاً بصفتين متوازيتين من المقاعد المنجدة - وكان الصف الأيسر يحتوي على ثلاث مقاعد إضافية - هي أفضل مقاعد الباص - وقد صُنِّت على أرضية مرتفعة قليلاً إلى جانب السائق ) . وكان القائد لا يستقر في مقعده قبل أن يطمئن إلى أننا صعدنا جميعاً إلى الباص وجلسنا في مقاعدنا . وعندئذٍ كان يجلس ، مفرشحاً على مقعده ويبدأ بسرده فصل جديد من "الرجل الضاحك" . وما إن يبدأ بالحكاية حتى يلقي منا انتباهاً لا يكلّ .

فقصة " الرجل الضاحك " هي القصة المثالية لاستثارة فضول من ينتمي إلى عصابة " الكومانش " . حتى أنها كانت تتخذ أبعاداً كلاسيكية . قصة تميل للتشعب في كل منحنى ومع ذلك يسهل حفظها . إذ كان في استطاعة واحدنا دوماً أن يحملها معه إلى بيته ليستغرق في تأمل معانيها ، مثلاً ، وهو ممدّد في مياه المغطس .

الرجل الضاحك هو الإبن الوحيد لأبوين ثريين من المرسلين  
خطفه قطاع طرق صينيون حين كان لا يزال رضيعاً . وإذ يرفض الأبوا

( التزاماً بالمبادئ الدينية ) دفع فدية إينهما ، يعمد اللصوص وقد أعماهم الغضب إلى وضع رأس الصغير بين فكّي ملزمة نجّارٍ وشدوا قليلاً ، فكان من ذلك أنّ موضوع هذه التجربة الفريدة وجد نفسه حين بلغ سنّ الرشد برأسٍ أصلعٍ ومستطيل الشكل كالكعكة ، وبتقّب بيضوي هائل تحت الأنف بمثابة فم . ولم يكن الأنف نفسه سوى منخرين مسدودين . ولهذا السبب كان هذا الثقب الكريه البشع الذي يحمله الرجل الضاحك تحت أنفه يتمدّد ويتقلّص كلّما تنفّس - أو في الأكل ، هكذا أتخيلُه - وكأنّه محجمة هائلة . (كان القائد ينجح في تقليد تنفّس بطل قصّته أكثر بكثير مما كان ينجح في وصفه). كان الغرباء، إذن، يتساقطون أمواتاً ما إنْ تتبدّى لهم دمامة وجه الرجل الضاحك فيتجنّبّه الجميع. إلا أن المستغرب أن اللصوص كانوا يسمحون له بالتجوّل في أرجاء مقرّهم على أن يغطي وجهه بقناع أحمر خفيف مصنوع من ورق خشخاش المنثور. ولم يكن ارتدائه هذا القناع ليجنّب اللصوص رؤية وجه إبنهم بالتبني فقط، بل كان يتيح لهم أيضاً مراقبة تحركاته عبر رائحة الأفيون القوية التي كانت تفوح منه .

كان الرجل الضاحك، في عزلته القاسية، يتسلّل كل صباح من وكر اللصوص (كانت له مشية الهرّ الرشيقّة) ويتوغّل في الغابة الكثيفة التي تحيط بالمكان. وهناك كان يوطّد أواصر صداقته مع الحيوانات من كل الأجناس. فتران بيضاء، نسور، أسود، أقاعي البوا العاصرة، نئاب. لا يل كان ينزع قناعه ويحدّثها بلغتها بصوت شجي ورقيق. ولم تكن الحيوانات ترى أنّه بالغ الدمامة.

(لقد استغرقه الوصول بالحكاية لهذا الحد بضعة أشهر

وانطلاقاً منه بدأ القائد أكثر فأكثر إطلافاً لمخيلته في سرد التطورات وهو الأمر الذي كان يرضي فضول " الكومانش " .

لم يكن في الأرجاء من يُضاهي الرجل الضاحك في لصق أذنه بالأرض وتقصي الأسرار، إلا أنه لم يفلح يوماً في قضح أسرار اللصوص المهنيّة. فهو، بأيّة حال، لم يكن يبالي بها وذات يوم من أيام حسن طالعه، ابتكر لنفسه نظاماً أكثر فعالية.

لقد شرع في البداية ، بالعمل لحسابه الخاص وإنّ على نطاق ضيق ، في الأرياف الصينية ، نهياً وتكليلاً ، وما كان ليلاً إلى القتل إلا حين يجد نفسه مجبراً على ذلك . ولم يمضِ وقت طويل حتى جعلت منه أساليبه الإجرامية المبتكرة مقرونة لديه بحس الاستقامة الفريد ، رجلاً محبوباً من الناس ومقرباً إلى الأهلين في أرجاء البلاد .

ومع ذلك فقد حدث ما هو مستغرب إذ كان أقرباؤه بالتبني (اللصوص الذين ربوه منذ البداية على الجريمة) آخر من رأفت لهم مآثره. وعندما عرفوه أعمى الحسد قلوبهم. وذات ليلة اقتربوا، الواحد تلو الآخر، من سرير الرجل الضاحك ظناً منهم أنّه غارق في سبات عميق بعد أن سقوه، مخدّراً، وانهالوا على الكتلة المستلقية تحت الأغطية بالسواطير. واتضح فيما بعد أنّ الضحية لم تكن سوى أم زعيم العصابة وهي امرأة شرسة كريهة ومماحكة. وبالطبع لم يؤد هذا إلا الى تأجيج شهوة

الصوص لهدر دم الرجل الضاحك ، ولذلك وجد نفسه مجبراً على حبسهم في حفرة قبر عميقة ولكنها حسنة الديكور . كانوا يتسللون منها بين حين وآخر ويسبّبون له بعض المتاعب ، إلا أنه كان يمتنع دائماً عن قتلهم . (ولعل جانب الرأفة هذا في شخصيّة الرجل الضاحك هو ما كان يجعلني أفقد صوابي تماماً ) .

ولم يلبث الرجل الضاحك أن اعتاد اجتياز الحدود الصينيّة دورياً والدخول إلى باريس بفرنسا . وهناك كان يلهو ويتواضع كبير بأن يتحدّى بعبقريته الفذّة مارسل دوفارج ، التحري العالمي ذائع الصيت والذي يتميّز بذكاء لا يستهان به وإن كان يعاني من أمراض صديّة . وهكذا أصبح دوفارج وابنته ( وهي صبيبة رائعة الجمال وإن كانت مخادعة ) العدوین للدودين للرجل الضاحك . وكانا من وقت لآخر يستدرجانه إلى بوابة الحديقة . وكان الرجل الضاحك ، شغفاً منه بركوب المخاطر ، يرافقهما حتى منتصف الطريق . قبل أن يخفني ، وغالباً ما كان يفعل دون أن يخلف وراءه ما قد يُعين على إيجاد تفسير مقبول للطريقة التي كان يستخدمها للفرار . كما كان يعتمد من حين لآخر إلى إرسال كلمة وداع عبر فتحات المجاري الجوفيّة لمدينة باريس فلا تلبث أن تصل ، على جناح السرعة ، إلى دوفارج . ولذلك كان آل دوفارج يقضون قسماً لا بأس به من الوقت وهم يتخبّطون في أقبية المجاري الجوفيّة لمدينة باريس .

ولم ينقض وقت طويل حتى جمع الرجل الضاحك أعظم ثروة يملكها رجل في العالم . فوهب القسم الأوفر منها ، بمثابة مساهمة مُغلّلة ،



رهبان دير محلي ، وهم من المتزهدين المتواضعين الذين صرفوا أعمارهم في تربية الكلاب البوليسية الألمانية . وابتاع الرجل الضاحك بما تبقى له من ثروة الماساً كان يخبئه في طريق عبوره ، في مغارات زمرد ، في قعر البحر الأسود . كانت احتياجاته الشخصية ضئيلة جداً . وكان طعامه يقتصر على الأرز ودم العقبان ، ويقوم في بيت ريفي صغير مجهز بصالة للتربية البدنية تحت الأرض ، وبصالة لمزاولة ألعاب السلاح ، ويقع عند السفح العاصف للتبويب . وكان يحيا مع أربعة من الأتباع الأوفياء الخالص: ذئب بواذ ثرثار مكار يُدعى " الجناح الأسود " ، وقزم رائع اسمه أومبا ، وعملاق منغولي يُدعى هونغ ( كان البيض قد أحرقوا لسانه ) ، وأوراسية رائعة الجمال كانت تميل أحياناً ، وبدافع حبها – غير المتبادل للأسف – للرجل الضاحك وهاجس أمنها الشخصي ، إلى نزعة إجرامية بغیضة . كان الرجل الضاحك يُبلغ العصابة أوامره من خلف ستار من الحرير الأسود . ولم يكن لأي من التابعين ، حتى أومبا الرائع ، الحق في رؤية وجهه .

بإمكاني ، ولن أفعل بالطبع ، أن أستدرج القارئ – ولو قسراً إن دعت الحاجة – لساعات طويلة إثر الروحات والغدوات بين جانبي الحدود الصينية – الباريسية . فأنا أعترف بأنني أرى الى الرجل الضاحك وكأنه أحد أجدادي العظام ، شيء من طراز روبرت إ . لي ، إن أدركتم قصدي، بعد أن تضىف عليه كل الفضائل المزعومة للشعوذة . ويبدو هذا الوهم نابعاً من مخيلة عاقلة جداً إذا قارناه بذلك الوهم الذي كنت أفتيه عام ١٩٢٨ ، يوم كنت لا أحسب نفسي فقط سليل الرجل الضاحك مباشرة ، بل

ووريثه الحي الشرعي الوحيد . حتى أنني لم أكن ابن والدي ، في عام ١٩٢٨ ، بل كنت مكاراً شيطانياً مخادعاً ، متربصاً بأقل هفواتهما شأناً لأنتهز - من غير عنف إذا أمكن ذلك ، ولكن ليس بالضرورة - فرصة إثبات هويتي الحقيقية . ولكي لا أحطم فؤاد أمي المزعومة ، كنت مصمماً على إشراكها في نشاطي السري ، وأتدبر لها عملاً غير محدد لكنّه جوهرى بمقدار ما تستحقّه . إلا أنّ ما كان في مقدمة مشاغلي آنذاك ، عام ١٩٢٨ ، هو أن أراقب تصرفاتي عن كثب ، أن أظهار باللعب ، بغسل أسناني وتسريح شعري ، أن أكتم ، بأي ثمن ، طبعي الضاحك القبيح .

في الحقيقة لم أكن السليل الشرعي والحي الوحيد للرجل الضاحك . كنّا خمسة وعشرين كومانشياً في النادي ، أي كنّا خمسة وعشرين سليلاً شرعياً من الأحياء ، نجوب المدينة خفية بسُحْنٍ متوعّدة ، محدّجين الصبيان ، عاملي المصاعد ، بنظرات كأنّهم عدوّنا القاتل المحتمل ، هامسين بطرف شفاهنا أوامر لا تغفل عنها آذان الكلاب الإنكليزية ، مسدّدين سبّاباتنا نحو جبين مدرّسي الحساب ، منتظرين دائماً الفرصة الملائمة لزرع الرعب والإعجاب في قلوب عامّة الناس .

بعد ظهيرة ذات يوم من أيام شباط ، وكان موسم مباريات البايربول قد بدأ بالنسبة لعصابة " الكومانش " ، رأيت شيئاً جديداً معلقاً في باص القائد : صورة مقرّضة الجوانب ألصقت فوق المرآة العاكسة على الدّراءة ، لفتاة ترتدي الزّي الجامعي . وبدا لي أنّ صورة الفتاة تتناثر مع الزينة الذكريّة للباص ، وسألت القائد بإلحاح عمّن تكون . فاستوضح

سؤالي في البداية ثم أقرُّ أخيراً بأنها فتاة . فسألته عن إسمها . فأجاب مبدئياً ضيقه : " ماري هودسون " وسألته عما إذا كانت تعمل في السينما أو أي شيء من هذا القبيل . فقال لا ، إنها طالبة في كلية ويلزلي . وأضاف ، بعد تفكير طويل ، أن كلية ويلزلي تُعتبر مؤسسة لخاصة النخبة . وسألته لماذا ، على أية حال ، ألصق صورتها على درّاة الباص . هزُّ كتفيه كما لو أنه يود أن يقول ، على ما فهمت ، إن الصورة قد فُرِضت عليه بطريقةٍ أو بأخرى .

وخلال الأسبوعين التاليين ، سواء أكانت مفروضةً عليه أم لا ، لم ترفع الصورة عن درّاة الباص . ولم تختفِ مع ورق التغليف بايبي روث وأعواد السكائر . وانتهى بنا الأمر ، نحن معشر " الكومانش " ، بأن اعتدنا عليها وسرعان ما غابت عن أذهاننا وما عدنا نهتم إلا بالانتباه إلى مؤشر السرعات .

ذات يوم وفيما كنا في طريقنا إلى الحديقة ، أوقف القائد الباص فجأةً بمحاذاة رصيف الجادة الخامسة ، بالقرب من الشارع الستين ، وعلى بعد أقل من كيلومتر واحد عن ملعب البيزبول . تعالت أصوات نحو عشرين راكباً من المقاعد الخلفية تطالب القائد بتبرير مثل هذا التوقف ، ولكن القائد لم يقدّم أي تفسير . بل اتخذ ببساطة وضعية الراوي مفرشحاً ، وراح يروي ، قبل الموعد المعتاد بساعتين ، فصلاً جديداً من الرجل الضاحك . وما كاد يهّم بذلك حتى سُمع طرقٌ على زجاج الباب . كان

القائد يومذاك متنبهاً سريع الاستجابة ، فنهض واثباً من مقعده ، وأدار قبضة الباب فصعدت إلى الباص فتاة ترتدي معطفاً من فرو القندس .

بالإجمال ، لا أذكر ، في حياتي كلها ، سوى ثلاث فتيات لفتني جمالهنّ الباهر الذي لا يُضاهى من النظرة الأولى . الأولى فتاة نحيلة بمايوه أسود كانت تُعاني كثيراً من عجزها عن غرز عصا المظلة البرتقالية في الرمل ، في جونز بيتش ، حوالي العام ١٩٣٦ . والثانية كانت فتاة على متن قارب خلال رحلة بحرية بين جزر الكاريبي ، وأذكر أنها رمت ولآعتها إلى خنزير بحري . والثالثة كانت صديقة القائد ، ماري هودسون .

— لقد تأخرتُ كثيراً ، أليس كذلك ؟

سألت القائد بابتسام .

وكانت لتسأل أيضاً عما إذا كانت تبدو دميمة المظهر .

— آه ، لا ! قال القائد .

وبشيء من العصبية نظر إلى الكومانشيين الجالسين بقربه وأشار إلى الصف الأقرب بأن يفسحوا لها مكاناً . جلست ماري هودسون بيني وبين صبيّ يدعى إدغار كذا ، لم أعد أذكر ، وكان عم إدغار هذا صديقاً مقرباً لأحد مهرّبي الكحول . فأقسحنا لها ما تشتهي من مكان وأكثر . اقلع القائد بانحرافٍ لا يرتكبه دعيّ حديث العهد في قيادة السيارات . وكان الكومانشيون ، أولهم كمثل أخيرهم ، يلزمون الصمت .

وبينما كنا في طريق عودتنا إلى حيث يركن الباص عادة ، دنت ماري هودسون من القائد وقد انحنت على مقعده وروت له بحماسة بالغة قصّة كل القطارات التي فاتتها والقطار الذي لم يفتها . كانت تقطن في دوغلاستن آيلند . وكان القائد شديد العصبيّة ، لا يكاد يفتح فمه ويسمع بالكاد ما تقوله . وأذكر أنه كان مرتبكاً في تغيير السرعات .

عندما ترجّلنا من الباص ، لحقت بنا ماري هودسون . وأنا واثق الآن أنّ العبارة التي كانت ترسم على وجوه كافة الكومانثيين ، ونحن في طريقنا إلى ملعب البايبول ، هي عبارة ألا - تفهم - إذا - هذه - الفتاة - متى - ينبغي - أن - تعود - إلى منزلها . وما زاد في الطين بلّة أخيراً وفيما كنا نحتكم ، أنا وكومانثي آخر ، إلى لعبة القفا أو الوجه لاختيار الفريق الذي سيفتح اللعب ، أعلنت ماري هودسون بنبرة تحبب أنّها تود أن تلعب معنا . فلم نُجر جواباً أبلغ من صمتنا المطبق . فإذا كنا حتى تلك اللحظة لا نبدي سوى دهشتنا حيال وجود فتاة بيننا ، فقد أصبحنا نحدها بنظرات ازورار . جبهتنا بابتسامتها . وبدا الأمر مثيراً للحرج . وعندئذٍ تدخل القائد مبدياً لنا أنه إذا أثر الصمت طوال اللحظات السابقة فهذا لا يعني أنه عاجز عن التمييز بين من هو كفاءٌ ومن ليس بكفاء . وانتحى بماري هودسون جانباً وبعيداً عن مسامعنا وبدا أنه يحاول أن يقنعنا بهدوء . وفي آخر الأمر ، قاطعته ماري هودسون وترامى صوتها إلى مسامعنا :

- ولكنّي أريد ! قالت . أنا أيضاً أريد أن ألعب !

هزّ القائد برأسه وحاول مجدّداً . وسدّد سبّابته في اتجاه الملعب الذي تجمّعت فيه نُقْحُ الماء والحفر . وتناول أحد المضارب ليريهها كم هو ثقيل .

– سيّان عندي ، قالت ماري هودسون بصوت عالٍ . لقد قطعت كل المسافة حتى نيويورك ، وقصدت عيادة طبيب الأسنان وكل شيء . وسألعب .

هزّ القائد برأسه مرّة أخرى وأطرق . ثم عاد بخطى متباطئة إلى نقطة التجمّع حيث كان " الشجعان " و " المحاربون " – فريقا عصابة "الكومانش" – ينتظرون . نظر إليّ . لقد كنت رئيس فريق " المحاربين " . ذكر إسم لاعب قلب الهجوم في فريقتي الذي تغيب لأسباب مرضيّة واقترح عليّ أن تحلّ ماري هودسون محله . وسألني القائد من أين ، بحق السماء ، ابتدعتُ هذا إذ أجبته بأنني لست في حاجة إلى لاعب قلب الهجوم . صُعقتُ . فقد كانت المرّة الأولى التي أسمع فيها القائد يتلفظ بمثل هذا الكلام . وما زاد من ذهولي وإحساسي بأنّ ماري هودسون كانت ترمقني بنظراتها مبتسمة . ولشدة غيظي ، التقطت حجراً ورميت به شجرة .

الفريق الآخر هو الذي افتتح المباراة ولم تستدع ضربة الإرسال الأولى أي تحرك في وسط الملعب . ومن حيث كنت واقفاً ، عند خط الزاوية الأول ، لم أكف ، بين حين وآخر ، عن إلقاء نظرة خاطفة إلى الوراء . وفي كل مرّة كانت ماري هودسون تلوّح لي بذراعها تلويحة ابتهاج . كانت ترتدي قفازاً ضخماً اختارته بحسب قلبها . لقد كان منظرأ فظيلاً .

كان من المفترض ، من جهة فريق " المحاربين " أن تتولى ماري هودسون ضربة الإرسال في المرحلة التاسعة . وعندما أطلعتها على الأمر، بدت غير راضية وقالت : " حسناً إذا ، ضاعفوا سرعة حركتكم ! " والأدهى هو أننا ضاعفنا سرعة حركتنا . كان لها أن تتولى ضربة الإرسال في المرحلة الأولى . وللمناسبة ، خلعت الفرو وفتحتها الضخم ووقفت في الموضع المحدد في ثوبها الداكن . وعندما ناولتها المضرب سألتني لماذا هو ثقيل هكذا . غادر القائد موقعه كحكم خلف رامي الكرة واقترب بادي القلق . وقال لماري هودسون أن تسند طرف المضرب إلى كتفها اليمنى .

ـ ولكن هذا ما أفعله بالضبط ، قالت .

قال لها أن تشد قبضتها كثيراً على المضرب .

ـ أنا أفعل ، قالت . ابتعد من أمامي .

صفق الهواء عنيماً حين تُلقت الكرة الأولى بضربة رمتها إلى أعلى ومرّت فوق رأس لاعب اليسار . كانت ضربة موفّقة تتيح ، في العادة ، الركض حتى الزاوية الثانية ولكنّ ماري هودسون وصلت إلى الزاوية الثالثة دون أن تزلّ قدمها .

بعد أن تماكنت ذهولي ، ثم إعجابي ، ثم بهجتي ، نظرت إلى القائد الذي زالت عنه سحنة المطوّف خلف الرامي . وبداء لي رجلاً في أوج السعادة . من الزاوية الثالثة أشارت ماري هودسون لي بيدها . فبادلتها بالمثل . لم استطع أن أتمالك نفسي حتى لو تعمّدت ذلك . فعلاوة على

حسن استخدامها للمضرب كانت فتاة تعرف جيداً كيف تشير بيدها إلى أحد ما من الزاوية الثالثة .

خلال ما تبقى من المباراة كانت تصل إلى الزاوية الثالثة كلما تولت ضربة للإرسال . وبدا ، لسبب أو لآخر ، أنها تكره الزاوية الأولى . ولم يكن في المستطاع إجبارها على البقاء هناك . ثلاث مرّات على الأقل، تسلّت إلى الثانية .

ما عدا ذلك كانت طريقة لعبها كأسوأ ما يكون للعب ، إلا أن عدد النقاط التي كانت تسجّل لصالحنا وقت إرسالها كانت تجعلنا لانعير الأمر انتباهاً خاصاً . وأحسب أنه كان من الأفضل بكثير لو أنها كانت تقبل بملاحظة الكرات كيفما شامت ولكن دون أن تكون مرتدية قفاز بايزبول . غير أنها كانت تصر على الاحتفاظ به وتقول إنه ظريف .

خلال الأشهر التالية ، واطببت على الاشتراك في مباريات "الكومانش " مرتين في الأسبوع ( والأغلب أنها كانت تفعل عندما يكون لديها موعد في عيادة طبيب الأسنان ) . وأحياناً كانت تصل قبل انطلاق الباص وأحياناً أخرى تتأخّر على مواعده . أحياناً كانت طوال الرحلة لا تكف لحظة واحدة عن الكلام ، وأحياناً أخرى كانت تلبث جالسة لا تنطق بكلمة واحدة وتدخّن سكاثر هربرت تاريتون ( المفلتره ) . وكان من يجلس بجانبها في الباص لا يستطيع إلا أن يحس برائحتها الشهية الطيبة .



ذات يوم عاصف من أيام نيسان ، مرّ القائد وأقلنا كالمعتاد عند الثالثة من تقاطع الشارع ١٠٩ وجادة أمستردام ، وبعد أن انعطف يُمنة في اتجاه الشارع ١١٠ ، تابع سيره المعتاد في اتجاه الجادة الخامسة . إلا أنه كان قد بلّ شعره قبل تسريجه ، وارتدى معطفاً بدلاً من سترته الجلد ، وكان في استطاعتي أن أراهن ، دون حظ كبير بالخسارة ، أن ماري هودسون ستلتزم إلينا . وعندما تجاوزنا بسرعة خاطفة مدخل الحديقة العمومية الذي نسلكه عادةً ، أيقنت من أنني على حق . أوقف القائد الباص على جاري عادته في المناسبات المماثلة عند زاوية الشارع ٦٠ ، ولتمضية الوقت جلس مفرشحاً على مقعده وشرع في رواية فصل جديد من " الرجل الضاحك " . أنا أذكر هذا الفصل في أدق تفاصيله وسأحاول أن ألخصه لكم .

لقد شاء سوء طالع المصادفات أن يقع أوفى أصدقاء الرجل الضاحك ، أي ذئبه " الجناح الأسود " في فخّ مادّي وذهنّي في وقتٍ معاً ، دبّره له دوفارج وابنته . وبما أن دوفارج وابنته كانا يعرفان جيداً أريحية الرجل الضاحك وحسّه بالواجب ، اقترحا عليه أن يستسلم لهما مقابل الإفراج عن " الجناح الأسود " . قَبِلَ الرجل الضاحك بطيبة خاطر نادرة اقتراحهما ( إذ كانت بعض الوظائف الثانوية في نبوغه عرضة لبعض لحظات الوهن التي لا يعرف مصدرها ) . وتم الاتفاق على أن يُلاقي الرجل الضاحك دوفارج وابنته عند منتصف الليل في مكان ما في الغابة الكثيفة التي تحوط مدينة باريس ، حيث سيعمدان إلى إطلاق سراح " الجناح الأسود " في ضوء القمر . سوى أن دوفارج وابنته لم يكونا عازمين على إطلاق سراح " الجناح الأسود " الذي كانا يخشيانه ويمقتانه . وفي الليلة

المحددة للتبادل ربطاً بدلاً منه ذنباً آخر كانا قد طليا بالأبيض قائمته الخفيفة اليسرى كي يصبح شبيهاً بالجنح الأسود .

غير أن ثمة أمرين لم يتوقعهما دوفارج وابنته : رهافة حسن الرجل الضاحك ومعرفة لغة الذئاب . فما أن سمح لابنة دوفارج بأن توثقه إلى شجرة بواسطة شريط شائك ، أراد الرجل الضاحك أن يوجه بصوته العذب بعض كلمات الوداع لما كان يفترض أنه صديقه الحميم . ولم يلبث الصديق الزائف الذي كان لا يبعد عنه سوى بضعة أمتار تحت ضياء القمر ، أن تأثر لموقف هذا الغريب الذي يجيد لغته إجادة تامة ، وأصغى بتهذيب ، لتوان قليلة ، إلى وصاياه الأخيرة ، الشخصية منها والمهنية . إلا أن صبره نفذ في آخر الأمر وراح يتخطر بثقله من قائمة إلى أخرى . وفجأة قاطع الرجل الضاحك ، بشيء من قلة التهذيب حتى ، وقال له أولاً إن اسمه ليس " الجناح الداكن " أو " الجناح الأسود " أو " ذا القوائم الرمادية " أو أيًا كان من مثل هذه الترهات ، فهو يدعى آرمان ، وثانياً إنه لم يذهب في حياته كلها إلى الصين وليس في نيته أن يذهب إليها قط .

أما الرجل الضاحك وقد جن جنونه من الغيظ ، فقد أسقط القناع عن وجهه مستخدماً لسانه وكشف لدوفارج وابنته عن وجهه العاري في ضوء القمر . ووقعت الأنسة دوفارج مغشياً عليها . أما والدها فكان أوفر حظاً . إذ لم يشهد وقد انتابته ، لحسن طالع ، نوبة سعال ، مشهد سقوط القناع القاتل . وعندما كفت نوبة السعال ورأى ابنته ممددة على الأرض ، في ضوء القمر ، تجمدت الدماء في عروقه . ولم يلبث أن غطى عينيه بيده

وأفرغ رصاصات مسدسه الأوتوماتيكي في اتجاه تنفّس الرجل الضاحك المتقطّع الصافر .

وكانت هذه خاتمة الفصل .

تناول القائد ساعته الإنجرسول التي تباع واحدها بدولار واحد ، من جيبيه ، وألقى نظرة خاطفة عليها ، ثم لم يلبث أن استدار في جلسته وأدار المحرك . نظرتُ إلى ساعتي . كانت الساعة تقارب الرابعة والنصف . وما أن ألقع الباص سألت القائد عمّا إذا كان في انتظار ماري هودسون . فلم يجب . وقبل أن يُتاح لي سؤاله مجدّداً ، ألقى برأسه إلى الخلف وصرخ في اتجاهنا :

— بعض الهدوء ، أنتم هناك ، بحق السماء !

ومهما يكن من أمر العبارات التي استخدمها ، فإنّ ملاحظته هذه جاءت في غير محلها . فقد كان الصمت مطبقاً في الباص منذ بعض الوقت . إذ كان معظمنا لا يزال مستغرقاً في التفكير في موقف الرجل الضاحك حيث انقطعت الحكاية . صحيح أننا كنا قد تجاوزنا مرحلة الانشغال بالقلق عليه . فقد كانت ثقّتنا به على هذا الصعيد أكبر من أن تهون ، ولكننا لم نكن قد توصلنا بعد إلى مرحلة التعوّد — دون انفعال — على الأخطار الكبيرة التي تحدق بمصيره .

عند ضربة الإرسال الثالثة أو الرابعة من المباراة ، في تلك  
الظهيرة ، لمحت بغتة ماري هودسون من موقعي عند الزاوية الأولى .  
كانت جالسة على مقعد على بعد مئة متر تقريباً إلى يساري ، بين مريبتين  
مصحوبتين بعربتي أطفال . كانت ترتدي معطفها الفرو وتدخن سيكارة ،  
وبدت لي مستغرقة في متابعة المباراة . فما كان مني ، وقد ألهيتني  
الحماسة لهذا الاكتشاف ، إلا أن صرخت لإبلاغ القائد الواقف خلف  
الرامي . فاقترب بخطوات متسارعة ولكن دون هَرَج .  
- أين ؟ سألني .

فأشرت إلى المكان . فنظر إلى حيث أشرتُ بنظرات ثابتة ثم قال  
إنه لن يطيل غيابه وغادر الملعب . مشى نحوها بخطوات متباطئة ،  
معطفه غير مزررٍ وقد دسَ يديه في الجيبين الأفيين لبنطاله . جلست عند  
الزاوية الأولى ورحت أراقبهما . قيل أن يصل إلى محاذاة ماري هودسون  
زررُ القائد معطفه وتقدّم نحوها وقد أرخى ذراعيه إلى جنبه .

وقف قبالتها لخمس دقائق . وبدا أنه يتحدث إليها . ثم نهضت  
ماري هودسون واقتريا في اتجاه ملعب البايبول . لم يتبادلا الكلام أثناء  
سيرهما . ولم يتبادلا النظرات . وعندما وصلا إلى الملعب ، عاد القائد إلى  
موقعه خلف الرامي . فصرخت أسأله :  
- هل تلعب ؟

قال لي أن أطبق فمي . فأطبقته ورمقتُ ماري هودسون . مرّت  
متباطئة خلف المُرسلين وقد دسّت يديها في جيبَي معطفها الفرو ، ثم ذهبت

في آخر الأمر وجلست على أحد المقاعد المخصصة للاعبين البديل ، خلف الزاوية الثالثة . أشعلت سيكارة أخرى وشبكت ساقيها .

عندما انتقل الإرسال إلى فريق " المحاربين " ذهبتُ إليها حيث كانت جالسة وسألتها عما إذا كانت تود أن تنضم إلى الفريق كلاعب الميسرة ، فهزّت برأسها . سألتها عما إذا كانت مصابة بزكام ، فهزّت برأسها . وقلت لها إنني في حاجة للاعب ميسرة . قلت لها إن اللاعب نفسه يقوم بدور قلب الهجوم ولاعب الميسرة . فلم أحظ بجواب . رميت قفازي كلاعب زاوية أولى إلى أعلى وحاولت أن أتلقفه برأسي ولكنه سقط في نقحة مياه موحلة ، فمسحته بمنطالي وسألت ماري هودسون عما إذا كانت ترغب ذات يوم في زيارتنا وتناول طعام العشاء على مائدتنا . وقلت لها إن القائد غالباً ما يفعل .

— دعني وشأني ، قالت . أرجوك . دعني وشأني .

رمقتها بنظرة استهجان ثم مشيت نحو مقاعد " المحاربين " وقد تناولت ليمونة يوسفّي من جيبتي ورحت أتقاذفها بيدي . وفي منتصف المسافة ، عند خط الجراء للزاوية الثالثة ، استدرت ورحت أمشي القهقري ، محدقاً بماري هودسون والليمونة في يدي . لم تكن لديّ أي فكرة عما يدور بين القائد وماري هودسون ( وما زلت حتى اليوم لا أعرف ، أو في الأكل ، ليست لديّ سوى فكرة غائمة حول الموضوع ) ، ولكنني أدركت ، منذ تلك اللحظة ، أنّ ماري هودسون قد هجرت ، وإلى الأبد ، قبيلة " الكوماناش " . وكان إدراكي هذا من نوع اليقين الذي يجعل ، وبصرف النظر عن اعتبار

آخر ، من سير القهقري تمريناً معروضاً لأي طارئ ، فتعذرت ووقعت جالسا في عربة طفل كانت هناك .

عندما انتقل الإرسال مجدداً إلى فريق " المحاربين " ، كانت قد أظلمت بحيث أصبح اللعب متعذراً . فعلقت المباراة وبدأ جمع الأدوات . وآخر ما أذكره من ماري هودسون هو صورة فتاة تنتحب قرب الزاوية الثالثة . أمسكها القائد بكم معطفها القرو ولكنّها أبعدته عنها ، وهرعت راكضة خارج الملعب ثم سلكت الممر المبلط وواصلت ركضها حتى غابت عن ناظري . لم يلحق القائد بها . بل لبث هناك ، ببساطة ، واقفاً وهي تغيب عن ناظريه . ثم استدار نصف دورة وعاد أدراجه إلى الملعب ليحمل المضربين خاصتنا . فقد كنا دائماً نترك له حمل المضربين . لحقت به وسألته عما إذا كان هو وماري هودسون قد تخاصما . فقال لي أن لا أحشر أنفي في ما لا يعينني .

على جاري عادتنا ، نحن معشر " الكوماناش " ، قطعنا آخر خمسين متراً من المسافة التي تفصلنا عن الباص ، متراكضين ، صاخبين متدافعين نتبادل الركل والمغالبة ، متوفزي الحواس لأن وقت " الرجل الضاحك " قد حان مجدداً . أثناء اجتيازنا للجاذة الخامسة أوقع احدنا كنزته الصوف فتعذرت بها ووقعت أرضاً . بعد ذلك حاولت أقصى ما في وسعي لأكون من بين أول الواصلين إلى الباص ولكن عبثاً ، فقد احتل الآخرون أفضل الأمكنة وكان عليّ أن أجلس في أحد مقاعد الوسط . ولكي أعبر عن استيائي مما آلت إليه الأمور لكزت رفيقي بضربة من مرفقي الأيمن

وأقيمت نظرة من حولي ورافقت عيناى القائد الذى كان يجتاز الجادة الخامسة . لم يكن الليل قد حلَّ بعد ، بل العتمة الخجولة للساعة الخامسة والرابع . اجتاز القائد الرصيف ، كان رفع ياقة معطفه ودسَّ المضربين تحت إبطه اليسرى ، وكانت نظراته ساهية فى مدى الجادة المفتوح . حتى شعره الأسود الذى كان بلِّله قبل بضع ساعات ليسرَّحه ، أصبح جافاً ومشعثاً . وأذكر أنني وددت حينذاك لو كان القائد يرتدي قفازين .

حين صعد القائد إلى الباص كان الصمت فيه مطبقاً كالعادة — أو على الأقل كان يسوده صمت أشبه بصمت المسارح حين تطفأ الأنوار — . ولم تلبث الأحاديث أن تحوَّلت إلى وشوشات مقتضبة أو كتمت على الفور . ومع ذلك فإنَّ أول ما نطق به القائد كان :

— هيا ، كفوا عن الضجيج هناك ! وإلا لن أكمل الحكاية .

وفى الحال اتخذ جميع من فى الباص هيئة الأصنام . ولم يجد القائد بعد ذلك مفراً من اتخاذ وضعيّة الراوي . وما إنَّ كان له ذلك حتى أخرج منديلاً من جيبيه وتمخَّط بعناية ونهج ، منخراً بعد الآخر ، كنا نراقبه يفعل بنفاذ صبر لا بل ، فى حدود ما ، ببعض الاهتمام . حين انتهى من فعلته طوى المنديل أربع مرّات وأعادته إلى جيبيه . وأخيراً منَّ بالفصل الجديد من " الرجل الضاحك " فلم يستغرقه ذلك من البداية وحتى النهاية ، سوى خمس دقائق .

أربع من رصاصات دوفارج أصابت " الرجل الضاحك " ، ومنها اثنتان أصابتا قلبه . وعندما سمع دوفارج الذى لم يرفع يده عن عينيه لكي

لا يرى " الرجل الضاحك " ، حشرجة ألم وامتضار من الناحية التي استهدفها برصاصاته شعر بفرحة غامرة . فهرع متمالكاً ضربات قلبه اللئيم لإسعاف ابنته . وعندها فقط واتتهما الجراءة على النظر إلى " الرجل الضاحك " بمزيج من فرحة اللثام وشجاعة الجبناء . كان رأسه متدلياً كراس مَيّت وقد لامس ذقنه صدره المدمى . فدنا الأب والإبنة بشغف واضح وإبطاء لتأمل ما اقترفته أيديهما . وهناك كانت المفاجأة في انتظارهما . فالرجل الضاحك لم يمّت ، بل كان مستغرقاً في جهده لقبض عضلات معدته بطريقة غامضة . وما إن اقترب منه دوفارج وابنته رفع رأسه بغتة وأطّلت ضحكة مرعبة ودون أدنى جهد منه ، بل وباسترخاء كامل ، بصق الرصاصات التي أصابته واحدة تلو الأخرى . ولهول الصدمة التي تلقاها دوفارج وابنته انفجر قلباهما على الفور ، وسقطا جثتين هامدتين عند قدمي " الرجل الضاحك " . ( كان في استطاعة القائد الذي أراد هذا الفصل قصيراً أن ينهي الحكاية عند هذا الحد . وكان من شأن الكومانشيين أن يتدبروا لأنفسهم تفسيراً عقلانياً لموت دوفارج وابنته الصاعق . ولكنه لم ينه الحكاية عند هذا الحد ) .

لبث " الرجل الضاحك " ، طيلة أيام وأيام ، مقيداً بالشجرة بواسطة الشريط الشائك ، وكانت جثتا دوفارج وابنته تتحللان أمام ناظريه . وكان في حالة من الإنهك لم يسبق أن أصابته من قبل لفرط ما نزلت جراحه وانقطاع قوته من دم العقبان . ومع ذلك نادى ذات يوم ، بصوته المحتضر الذي لم يفقد فصاحته ، حيوانات الغابة لمساعدته . وطلب منها أن تذهب لإحضار أومبا القزم الرائع . ففعلت . إلا أنّ المسافة بين الحدود



الصينيّة الباريسيّة كانت شاسعة ولم يصل أومبا حاملاً حقيبة الإسعاف وموّن دم العقبان إلّا بعد أن أصيب " الرجل الضاحك " بغيبوبة عميقة . وكان أول ما فعله أومبا إشفاقاً هو التقاطه لقناع سيده الذي فثفته الرياح فغطّى صدر الأنسة دوفارج المتحلّل الذي تنخره الديدان . فوضعه مجدداً على السحنة الدميمة وضمّد له جراحه .

عندما استيقظ " الرجل الضاحك " أخيراً من غيبوبته ، سارع أومبا إلى رفع قارورة دم العقبان بمحاذاة القناع ولكنّ " الرجل الضاحك " لم يشرب منها . وبدل أن يشرب تتمم بوهن إسم صديقه المحبوب " الجناح الأسود " . فأجاب أومبا وقد أطرق قليلاً برأسه المشوّه ، أنّ دوفارج وابنته قد عمدا إلى قتل " الجناح الأسود " .

كان ذلك ، في روع " الرجل الضاحك " ، بمثابة أعظم ما يكون الأسى . فأطلق زفرة كأنّها حشرجة الموت . وبحزن بالغ تناول قارورة دم العقبان وحطّمها في راحة يده ، فسال الدم القليل الذي تبقي فيها كسوار رقيق حول معصمه . أمرّ أومبا بأن يمتنع عن النظر إليه ، فأطاع أومبا سيّده منتحباً . وكان آخر ما فعله " الرجل الضاحك " قبل أن يدفن وجهه في التراب هو نزع القناع عن وجهه .

انتهت الحكاية عند هذا الحد ( وبالطبع لم تستكمل أبداً ) . أدار القائد محرك الباص . وفي صف المقاعد حيث كنت جالساُ راح ببلي والنش، الكومانشي الصغير ، ينتحب بصوت عال . لم يقل له أحد منّا أن يصمت . أمّا أنا فأذكر أنّ ارتعاشة كانت ترّج ركبتي .

بعد وقت قليل ، كان أول ما وقعت عليه عيناى ، عندما ترجّلت  
من باص القائد ، قصاصة من ورق الحرير الأحمر ألصقتها الريح على  
قاعدة مصباح كهربائي ، ويحسب من رآها أنها قنّاع أحد ما صنعت من  
وريقات خشخاش المنثور . عدتُ إلى البيت مرتعداً تصطكُ أسناني فلا  
أتمالكها ، فأرسلوني توأ إلى السرير .

# فهرس

5	مقدمة
13	جميل فمي عيناى خضراوان
35	رجلى المخلع فى كونتكتكت
63	اليوم المرتجى لسمك الموز
87	مباشرة قبل الحرب مع الاسكيمو
113	الرجل الضاحك

ولد جيروم دايفيد سالنجر في نيويورك عام ١٩١٩، ولم تلبث أن طارت شهرته كأحد أبرز الروائيين والقصاصين الأميركيين منذ عام ١٩٤٨ عندما نشرت له مجلة «النيويورك» قصته: «اليوم المرتجى لسمك الموز» التي تبعتها أعمال عدت من بين أفضل ما قدمه الأدب الأميركي في فترة ما بعد الحرب الثانية: «الحارس في حقل الشوفان»، «فراني وزووي»، «إرفعوا المنصة عالياً، أيها النجارون» و«سيمور» مقدمة.

توقف عن الكتابة منذ أواسط الستينات واعتزل العالم والأضواء في أحد الأرياف الأميركية البعيدة.